

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية

الموسومة بـ:

قضية الشعر الموضوع عند ابن سلام وطه حسين

إشراف الدكتور:

- مرضي مصطفى

إعداد الطالبتين:

- بوعنان فتيحة

- حر سعدية

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	أستاذ محاضر أ	أحميدة مداني.....
مشرفا ومقررا	أستاذ محاضر أ	مرضي مصطفى.....
عضوا مناقشا	أستاذ محاضر أ	نعار محمد.....

السنة الجامعية

2021م/2020م

1441 هـ/1442 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

نشكر الله شكر الشاكرين على نعمه

الظاهرة والباطنة

نتقدم بالشكر إلى أستاذي الفاضل "مريضى مصطفى" المشرف على المذكرة

وبالشكر إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل

والشكر لكل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة.

إهداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى التي رعتني منذ نعومة أظفري، إلى أمي الحبيبة،

إلى من ساندني في مشواري وحبب إلي طلب العلم، أبي الحبيب.

إلى إخوتي الأحباء سدي وزوجة أخي.

إلى شعبة البيت "أمين، حبيب الله، محمد" أبناء أخي.

إلى كل من جمعني به يوم ما أقدار الحياة "أصدقائي"

إلى كل أساتذتي في مشواري الدراسي.

بوعنان فتية

إهداء

أهدي ثمرة عملي إلى الوالدين العزيزين شعلة دربي ونجاحي...

إلى قرة عيني أنس ورفيقي دربي زوجي رشيد.

إلى إخوتي الأحباء مندي.

إلى كل الأصدقاء والأحبة.

إلى أول من علمني حرفا إلى آخر أستاذ لا يبخل عليا بملاحظاته.

حر سعادينة

هفتاد و نه

مقدمة.

الحمد لله ربّ العالمين نحمده حمد الشاكرين ونشكره شكر الحامدين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أما بعد:

إن ظاهرة الانتحال في الشعر العربي من أبرز القضايا التي شغلت بال نقادنا القدامى واحتلت حيزاً، فالانتحال لا يقتصر على أمة دون غيرها من الأمم ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره دون غيره من الأجيال، فقد عرفها العرب كما عرفتها الأمم الأخرى التي كان لها نتاج أدبي وعرفها العصر الجاهلي كما عرفها العصر الأموي والعصر العباسي، فقد أثارت الكثير من الجدل والخلاف، وقد بدل الرواة الثقافات جهداً عظيماً في تحقيق وتحميص هذا التراث الشعري القيم، ومن هؤلاء النقاد الجهابذة والرواة الثقافات، ومن أهمهم في هذا الجانب "ابن سلام"، الذي دوّن في كتابه "طبقات فحول الشعراء" كثيراً من ملاحظات أهل العلم ودراية في رواية الشعر القديم من أساتذة المدرسة البصرية التي ينتسب إليها، وأضاف إلى ذلك كثيراً من ملاحظاته الشخصية ومنهم المفضل الضبي، الأصمعي وغيرها كثيرون.

ولم يكن الوضع والانتحال مقصوراً على الشعر وحده بل يشمل كل ما يرتبط بالأدب وحتى بدأ في الحديث النبوي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

لقد أثار الشعر الجاهلي هذه المعضلة "الانتحال" لما يحويه من المقطوعات الشعرية والقصائد التي لم تصح نسبتها، وأثيرت الكثير من الشكوك حول صحتها، وطعن حتى في روايتها، كما تسرّب الشك حتى في وجود بعض الشعراء الجاهلين.

وهذا من شأنه أن يثير الكثير من الشكوك حول صحة الشعر من حيث نسبته إلى صاحبه أو إلى زمانه أو إلى مكانه.

ولهذا فالشعر الجاهلي يتطلب منا جدية في الطرح والدراسة لما له من مكانة عالية ومترلة رفيعة، لذا كانت العرب في الجاهلية تتخذه للتعبير عما بداخلها وما يخلج صدورهم، ومع تعدد

قضايا الشعر الجاهلي فقد ارتأينا التركيز على قضيته الأساسية وهي قضية الانتحال التي كانت محل باحثين قدماء ومحدثين وعرب ومستشرقين مع هذا وذاك فقد انصبّ التركيز على موقف ابن سلام الجمحي وطه حسين من هذه القضية، والإشكالية التي نود الإجابة عنها هي:

ما هو موقف ابن سلام من قضية الانتحال؟ وكيف كانت نظرة ورؤية طه حسين أيضا

لهذه القضية؟

وهذه الإشكالية تتفرع منها مجموعة من التساؤلات التي يمكن طرحها على النحو التالي :

● ما هي ظاهرة الانتحال؟ وما هو مفهومه؟

● ما هي أسباب نحل الشعر عند ابن سلام وطه حسين؟

● ما هو الفرق بين ابن سلام وطه حسين في قضية الانتحال؟

ترجع أسبابنا لاختيار هذا الموضوع إلى الميول والرغبة الشخصية في البحث في أهمية هذا الموضوع بشكل مفصل، والحاجة إلى التنقيب عن مثل هذه المواضيع ونظرا لأهميتها وقيمتها العلمية والمعرفية في الوقت نفسه، ولفهم العلاقة القائمة بين ابن سلام وطه حسين في قضية الانتحال، كما ترجع أسبابنا أيضا إلى الاطلاع على شخصيات النقاد، ومن أهم الشخصيات التي لفتت انتباهنا ابن سلام وطه حسين، اللذان يعدان من أبرز النقاد في الأدب العربي.

وقد قسم البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، أما المدخل فكان تحت عنوان ظاهرة الانتحال في الأدب، والفصل الأول عنوانه ظاهرة الانتحال عند ابن سلام، وتطرقنا فيه إلى ماهية الانتحال، والانتحال عند ابن سلام. أما الفصل الثاني الذي كان بعنوان ظاهرة الانتحال عند طه حسين، من خلا تعرضنا إلى الانتحال عند طه حسين، ودوافع الشك وأهم الأدلة عند طه حسين. وأجملنا بحثنا بخاتمة.

ومن خلال هذا كله أقبلنا على صياغة عنوان أنسب لذلك هو قضية الشعر الموضوع بين ابن سلام وطه حسين معتمدين في ذلك على المنهج المقارن الذي يلائم بحثنا هذا.

مقدمة.

واعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر ومراجع لعل أهمها:

- في الشعر الجاهلي لطف حسين؛
 - قضايا النقد القديم لمحمد صايل حمدان وآخرون؛
 - طبقات فحول الشعراء لابن سلام.
 - أما الدراسات السابقة فكانت متمثلة في:
 - تطور المصطلح النقدي: دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام (كتاب الموازنة أنموذجا)؛
 - مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، لناصر الدين الأسد.
 - إذا كان البحث لا يخلو من عراقيل فقد واجهتنا قلة المصادر وسعة الموضوع.
- وبعد إنجاز بحثنا هذا لا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل أولاً وقبل كل شيء، فالفضل راجع لا محالة إليه كما لا ننسى أستاذنا الفاضل "مرضي مصطفى" الذي مدنا بيد العون وله الفضل بعد الله سبحانه وتعالى فنصائح المتواصلة واهتمامه بموضوع بحثنا زادنا نشاطاً واستمرارية والله وحده هو الموفق.

مدخل

ظاهرة الانتحال في الأدب.

لقد شاع استخدام مصطلح الانتحال ليدل على قضية الشك في الشعر الجاهلي ويؤثر بعضهم استخدام مصطلح النحل ويحدده بأنه "وضع قصيدة ما أو بيت من أبيات وإسناد ذلك لغير قائله،¹ ويذهب آخر إلى أن "معنى انتحلها دعاء لنفسه ولغيره... ويقال نحل الشاعر قصيدته إذا نسبت إليه وهي لغيره"² وقد ميز باحث آخر بين ثلاث مصطلحات وهي: النحل والانتحال والوضع، فالوضع لديه "هو أن ينظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره لأسباب ودواع، والانتحال هو إدعاء شعر الغير، والتحل أن ينسب الرجل شعر شاعر إلى شاعر آخر³، ومن هنا يمكننا إيجاز معنى الانتحال بأنه نسبة الشعر لغير قائله سواء، أكان ذلك بنسبة شعر الرجل إلى آخر، أم أن يدعي الرجل شعر غيره لنفسه أم أن ينظم شعرا وينسبه لشخص شاعر أو غير شاعر سواء أكان له وجود تاريخي أو ليس له وجود تاريخي.⁴

فكلمة ينتحل تعني "الخطف"، والمتنحل هو خاطف أفكار أو كلمات شخص آخر، والتعريف الحديث للانتحال هو "السرقة الأدبية (الفنية أو الموسيقية)، إنه الإدعاء الكاذب بالتأليف، استخدام إنتاج فكري لشخص ما على أنه إنتاج شخصي".

وكان حسان بن ثابت يعتز بكلامه وينفي معانيه عن الأخذ والإعارة يقول: لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري.

فموضوع الانتحال عريض الجاه في الأدب العربي لطول حياته وكثرة أطواره وأدبائه واتصاله بأداب عدة، وعلوم وفلسفات، وشعوب وبيئات كثيرة.

¹ محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، دار الأوزاعي، بيروت، 1986، ص: 75.

² جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1978، ص355/19.

³ عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ص: 59.

⁴ كريم الوائلي، الشعر الجاهلي قضاياها وظواهره الفنية، دار العالمية، ص: 44.

وقد التفت كثير من علماء العربية إلى هذه الظاهرة وشاركهم في ذلك بعض العلماء المستشرقين وبعض الباحثين العرب المعاصرين وستوقف في هذا البحث عند ابن سلام الجمحي وعند طه حسين الذي أثار ضجة كبيرة في تناوله لقضية الانتحال في الشعر الجاهلي.

1- ظاهرة الانتحال عند الأمم القديمة:

الوضع والنحل والانتحال كلها ظواهر أدبية عامة، لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم، ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره من الأجيال. فقد عرفها العرب كما عرفتھا الأمم الأخرى التي كان لها نتاج أدبي، وعرفها العصر الجاهلي كما عرفها العصر الأموي والعصر العباسي، بل كما لا يزال يعرفها عصرنا الحاضر الذي نحيا فيه، على الرغم من وسائل الحضارة الحديثة التي كانت قمينه أن تبرء نتاجنا من هذه الظواهر لو كان ثمة سبيل إلى الخلاص منها.

ولم يكن الوضع أو النحل أو الانتحال مقصورا على الشعر وحده، بل لقد شمل كل ما يمت إلى الأدب العام بسبب: كالنسب والأخبار- منذ الجاهلية نفسها. ولقد بدأ الكذب والوضع في الحديث النبوي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحسبنا من كل ذلك لمحة عابرة ننتقل بعدها إلى تخصيص الحديث في الشعر وحده، فما يدل على أن الوضع والكذب في النسب قديم منذ الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم أن النبي عليه السلام كان إذا انتسب لو يجاوز في نسبه "معد" ابن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون. وكذلك ما الهيثم ابن عدى في كتاب "المثالب".

ولم يكن أمر الوضع والنحل في الشعر الجاهلي ليخفى على الرواة العلماء، فقد تنبه له كثيراً منهم، بل قلما نجد راوية عالماً من القرن الثاني والقرن الثالث لا تذكر لنا الأخبار المروية عنه أنه نصّ نصّاً صريحاً على أن بيتاً أو أبياتاً موضوعة منحولة.¹

ويقرر هوراس في موضع آخر أن بعض قصائده ليست إلا مجرد نسخ يونانية، بل إن السرقة الأدبية كانت أكثر شيوعاً في العصور القديمة منها في العصر الحديث لعدم وجود قوانين تحفظ حقوق التأليف والنشر إذا ذلك لا يكاد يوجد أديب مهما ذاعت شهرته في العصور القديمة مثل (هيرودتس) وارسطوفان وسوفكليس ومنتدروتيرنس كلها قد اتهمت بالسرقة² فأسطورة أوديب "على سبيل المثال هي" أسطورة قديمة ألفها "هوميروس".

في نصف القرن التاسع قبل الميلاد في النشيد الحادي عشر من ملحمة الأوديسيا.

وفي القرن الخامس قبل الميلاد جاء ثلاثة شعراء يونانيين، هم: "أسخيلوس"، "سوفوليكس" و"يوربيديس"، وأعادوا كتابتها لإعجابهم بها، وأعادها كتاب كثيرون مثل الشاعر الإنجليزي "دریدن" في القرن السابع عشر بعد الميلاد، والشاعر الإيطالي "الفيري" في القرن الثامن عشر بعد الميلاد، أما الفرنسيون فقد فتن شعراؤهم، وكتابهم بقصة أوديب منذ أواخر السادس عشر إلى أن وضع كورناي قصة تمثيلية لأوديب فتن بها معاصريه "وإذا كانت فكرة السرقات الأدبية متصلة بتاريخ الفكر الإنساني منذ عهد بعيد كعاصريه" وإذا كانت فكرة السرقات الأدبية متصلة بتاريخ الفكر الإنساني منذ عهد بعيد فإنها قديمة في أدبنا العربي معروفة لدى نقاد هو شعرائه الأقدمين، فهي عند القاضي الجرجاني (داء قديم وعيب عتيق ومازال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد

¹ ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1956، ص ص: 321 - 323.

² مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة (Anglo) الأنجلو المصرية، ص: 05.

منه فريخته ويعتمد على معناه ولفظه،¹ وهي كما يقول الأمدي: (باب ما يعري منه أحد من الشعراء إلا قليل)، (ويقول أيضا في موضوع آخر (باب ما تعري منه متقدم ولا متأخر).

2- ظاهرة الانتحال في العصر الجاهلي:

إن الروح العربية القديمة لا طالما ظلت سارية في النقد العربي ولا زال الحكم الأعلى فيه، وإن اندثار الأصول القديمة لا يعني موتها وزوالها، بل ظلت دوماً الفطرية الصائبة الراسخة التي لا يجوز الانحراف عنها، ولما كانت هذه الأصول تتمثل في الشعر الجاهلي فقد كان يحضر على الشاعر تخطيه أو التمرد عليه باعتباره النموذج المحتذى الذي ترسخت جذوره منذ القدم، غير أن الأمر الذي ينبغي تأكيده أن هذه القصائد الجاهلية بالرغم من كونها تمثل عماد الشعر وتعتبر العبادة التي تولد منها معنى الإبداع والأصالة، إلا أنها لم تسلم من قضية السرقات الشعرية وسطو الشعراء على أفكار غيرهم، ولذلك تعد السرقات من القضايا النقدية القديمة في الأدب العربي لكونها ظهرت مع الطفرات الأولى لظهور الإبداع الشعري المتمثل في الشعر الجاهلي، ويعد محمد ابن سلام الجمحي أول من فطن إلى سرقات الشعراء الجاهليين، وأشار إليها في كتابه (طبقات فحول الشعراء) يقول: " كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر جيده، وكانت شعراء غطفان تعير على شعره، فتأخذته فتدعيه، منهم زهير ابن أبي سلمى، إدعى هذه الأبيات:²

إِنَّ الرِّزِيَةَ لَا رِزِيَةَ مِثْلَهَا ***** مَا تَبْتَغِي غَطْفَانَ يَوْمَ أَضَلَّتْ
 إِنَّ الرِّكَابُ لَتَبْتَغِي ذَامِرَةً ***** بَجُنُوبٍ تَحُلُّ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتْ
 وَلَنْعَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا ***** نَهَلْتَ مِنَ العَلَقِ الرَّمَاحَ وَعَلْتَ
 يَبْعُونَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ كَرِيهَةٍ ***** عَظَمْتَ مُصِيبَتَهُمْ هُنَاكَ وَجَلْتَ

¹ ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص: 323-325.

² أمزيان سهام، تطور المصطلح النقدي: دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام، (كتاب الموازنة أمودجا)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران، كلية الأدب واللغات والفنون، 2014-2015، ص: 116-118.

وقد أورد الجمعي العديد من الأخبار التي تؤكد أن شعراء الجاهلية أنفسهم كانوا يأخذون البيت ويستزيدونه في أشعارهم يدعون أنه من جهدهم الخاص يقول: وقد كانت الشعراء في القديم يأخذ أحدهم البيت المشهور من شعر غيره، فيزيده في شعر نفسه،... من ذلك أن بني سعد بن زيد مناة ينشدون لرجل منهم يقال له "شفه" قوله:

أَرَيْتَكَ إِنَّ رَأَيْتَكَ مَنِي خَلَّةٌ ***** فَأَبْعَدَ مَنِي شِيمَةَ لَكَ أَرَيْبُ
وَكَسْتِ مُمَسْتَبِقِ أَخَا لَا تَلْمُهُ ***** عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ

وعلى الرغم من أن هذه الأبيات كانت تروى للنابعة وأشتهر بها إلا أن الشعراء كانوا يغيرون عليها ثم يدعون أنهم أوردوها على سبيل المثل لا بدافع السرقة، والخبر الذي أورده ابن سلام تسليم تام على قدم هذه القضية النقدية وأكد أن الأخذ والسطو الشعري برزت ملامحه عند أقدم الشعراء.¹

وذكر ابن سلام أن "ابن خدام رجل من طيئ لم نسمع شعره الذي بكى فيه، ولكن المؤكد طبعاً أن امرئ القيس قد سمع شعره الذي بكى فيه وأنه أراد محاكاته في هذا البكاء على الأطلال" فأمرئ القيس نفسه في بيته هذا يشهد بأن البكاء على الأطلال ليس هو من ابتدعه بل سبقه إليها شاعر قديم يطلق عليه "ابن خدام" فهذه المعاني البكر والمنهج المستجد الذي ابتدعه امرؤ القيس ورسخه شعراء الجاهلية" لا بد أن يكون قد مر بمراحل متعددة إلى أن استقر، ثم أصبح تقليداً ونموذجاً يتمثله شعراء العصر الجاهلي، فالبكاء على الأطلال والدمن المندثر، والوقوف على الديار، فوصف المرأة والفرس، هي معاني لا بد للعربي أنهم قد طرقتها مراراً قبل امرؤ القيس ولا شك أن انعدام التدوين وقلة المصادر والقصور مداها في تتبع تطور الأدب الجاهلي قد أسهم في إغفال الكثير من التراث القديم "فالفضائل المذكورة لإمرئ القيس وإن كانت بيئة في شعره لا يتاح

¹ أمزيان سهام، تطور المصطلح النقدي: دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام، (كتاب الموازنة أنموذجاً)، ص ص: 123 -

إثبات سبقه إليها، لما ضاع من قديم شعر العربي، ولأنها ليست من الخفاء بالموضوع الذي يدل عليه هذا الوصف المفرط بابتداعه لها واتباع الشعراء له فيه "فإننا نجد أن امرؤ القيس لم يسلم من تهمة السرقة فقد كان يتطرق لسرقة الخفية في أشعاره وقد قال له:

أَيْطَلَّا ظَبِيٌّ وَسَاقًا نَعَامَةٌ ***** وَإِرْحَاءَ سَرْحَانَ وَتَقْرِبَ تَقْلٍ¹

3- قضية السرقات:

عرفت السرقات الأدبية طريقها إلى الفكر العربي منذ العصر الجاهلي وحسبنا هنا قول طرفة بن العبد (ت حوالي 72 ق هـ):

وَلَا أُغَيِّرُ عَلَى الْأَشْعَارِ أَسْرِقُهَا ***** عَنْهَا غُنْيَةٌ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقَا
وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ ***** بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صِدْقًا

ويمكن أن نرد السرقات في هذا العصر إلى ثلاثة أنواع:

3-1- الأول: سرقات الشعراء المشهورين من شعراء القبائل المعمورين كسرقة زهير من قراد والنابعة من وهب...

3-2- الثاني: سرقات الشعراء من امرئ القيس وقد كان في نظر النقاد أول من افتتح القول في كذا وكذا من أساليب الشعر.

3-3- الثالث: سرقات ترجع أسبابها إلى اختلاف رواية الشعر والإخفاق في الوصول إلى القائل الحقيقي أو أن الشاعر ينتحل شعر غيره انتحالا ويسمى بعض النقاد هذا النوع من السرقات اجتلابا، وهي من السرقات الفاضحة التي يتميز بها الشعر الجاهلي والتي تخلو من أي تحوير في وقد انشد ابن الأعرابي للراجز القديم في قوله:

يا أيها الزاعم أني أجتلب "وأني غير عضا هي أنتخب" كذبت، إن شر ما قيل: الكذب.

¹ أمزيان سهام، تطور المصطلح النقدي: دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام، (كتاب الموازنة أنموذجا)، ص ص: 121 - 122.

وفكرة السرقات جاءت مع الشعر العربي الذي وصل إلينا من العصر الجاهلي (فابن سلام) يقول: كان قراد ابن حنش من الشعراء وكان جيد الشعر قليله وكان شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه، وذكر الرواة أن بيت امرئ القيس:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ***** يَقُولُونَ: وَلَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلُ

قد أخذه طرفة فقال:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ***** يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدُ

فلم يغير في البيت غير قاضيته فحسب، (يقول ابن وكيع وهناك من النقاد من قال إنه من الموارد فلم يسمع طرفة عن امرؤ القيس وقال ابن رشيق)، (لا أظن هذا مما يصح لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس فكيف يكون هذا موارد إلا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت حتى استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف، وإذا اصح هذا كان موارد وإن لم يكونا في عصر واحد.

3-4- مفهوم السرقة لغويا:

أصبحت قضية السرقات الشعرية موضوع اهتمام الباحثين والنقاد العرب قديما وحديثا، إذ لا يكاد يخلو أي كتاب في النقد الأدبي أو البلاغة من التطرق إلى هذه القضية، فقد عرف ابن منظور مفهوم السرقة لغة في لسان العرب قائلا: "سرق الشيء يسرقه سرقا وسرقا، والسارق عند العرب من حاء مستترا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس"، ابن منظور، لسان العرب، مادة سرق، أن مفهوم لفظه السرقة وبحسب ورودها في معاجم اللغة تعني أخذ الشيء خلسة، وهي في الأصل تنسب للأشياء المادية التي تؤخذ خفية.¹

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 01، مادة سرق، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د ت، ص ص: 155 - 156.

3-5- مفهوم السرقة اصطلاحاً:

لقد أشار النقد القديم لقضايا السرقات الأدبية وأنواعها، وكشف عن خفاياها، وبرر بعضها تحت حكم السرقة الأدبية تارة وتحت حكم التأثير تارة أخرى، وقد بدت قضية السرقات الأدبية وأنواعها قضية شائكة شغلت النقد العربي القديم، واهتمام النقاد هذه الظاهرة وتتبعهم لها جعل الشعراء، جميعاً محط الشك فيما ينظمون من شعر، فكان لا بد من تقنين هذه الظاهرة وتحديد مجالها للإنصاف الشعراء، فلا بعد الشاعر سارقاً إلا إذا وظف فكرة ما أو صورة فنية أو عبارة لغوية كان قد ابتدعها غيره من سابقه أو معاصريه، فينسبها لذاته منكراً قائلها الأول، دون أن يجري عليها تعديلاً أو تحسیناً للمعنى أو الصياغة.

والنقاد بدورهم كثيراً ما كانوا يلتمسون نوعاً من التداخل بين النصوص والتفاعل اللفظي والفكري بين شاعرین عاصر أحدهما الآخر أو كان لا حقاله.

ويؤكد هذا التوارد أبو عمرو بن العلاء لما سئل رأيت الشعارين يتفقان في اللفظ، لم يلق واحد منهما صاحبه، ولم يسمع بشعره؟ فأجاب قائلاً: "الشعر جادة، وربما وقع الحافر على الحافر". إن شرط الحكم بالسرقة الأدبية هو الإحاطة بالنصوص السابقة، وحفظ الكثير منها، بحيث يكون الحديث عن السرقات اجتهاد مبنياً على العلم الواسع المدى. كما أكد ابن خلدون في مقدمته على أن كل شاعر محتاج أن يقرأ لأسلافه، ويحفظ أشعارهم حتى ترسخ في ذاكرته، ثم يعيد استرجاعها في شعره بشكل تلقائي، وربما يقال إن من شرطه "نسيان ذلك المحفوظ لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة، إذا هي صادقة عند استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتفش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة" عبد الرحمان ابن خلدون.¹

¹ العزوني فتيحة، برنامج السداسي الثاني نقد أدب قديم، ص: 03-04.

والسرقات من المسائل التي اهتم بها النقاد منذ عهد مبكر وألفت فيها مصنفات كثيرة. فهي باب مما يعرى منه أحد من الشعراء إلا قليلا، ولا بأس أن يتفق شاعران في بيئة واحدة لأن كثير من المعاني المشتركة بين الناس وإذا توسع النقاد في بحث السرقات ووسع مفهومها لا يجعل للشاعر فضل، ولو اتخذ النقاد هذا الرأي أساسا والشاعر المجيد هو الذي يتمكن من التعبير عن الفكرة تعبيرا جميلا.

يرى الباحث إن السرقات أخذت حيزا مقدرًا في جانب النقد الأدبي، فقد أفرد لها علماء النقد حيزا مقدرًا ولم يتهاونوا، ولم يستكمنوا في ذلك، وإن الباحث في هذه القضية يجد أن الذين تعاملوا بالسرقات أكثرهم من فحول الشعر العربي، وذلك طلبا منهم لكسب الشهرة، أو التقرب من الملوك والأمراء، وذلك لمدحهم بأجمل ما عندهم من أشعار حتى ينال منهم العطايا والمدح والجلوس بقربهم في مجالسهم الخاصة والعامة.¹

ولذلك فإن أبا الطيب قد حذا حذو من سبقوه، وإن بعض النقاد اهتموا بالسرقات اللفظية، ولم يستحسنوها، خاصة إن كانت الأبيات المسروقة من عيون القصيدة المعنية.

القاضي الجرجاني مثلا كان ناقدا قديما نجده لم يستحسن السرقات اللفظية، ولم يتطرق لها في كتابه القيم (الوساطة بين المتنبي وخصومه) أما المآخذ المعنوية فنجدتها تشكل زاوية الشعر التي ينطق منها الشاعر مؤلفا لشعره المعنوي الذي يسمو له وتبين مدى قدرته على الاعتماد على نفسه أو على غيره من قدامى الشعراء.

فالمتنبي شاعر انطلق في مسيرته نحو الجهول فراود الغز واکتشف الحقيقة.

فكان يورد المناحي الصعبة ويطلب المستحيل، فنفسه مستهامة في معاناة، فصوغ هذه المعاناة قد أنتج قصائد جميلة مثيرة فهو شاعر ذو تأثير قوي متفرد في زمنه، ولقد حمل أبو الطيب اللغة ما

¹ شايب فرح فحول عبید، القاضي الجرجاني ناقدا من خلال كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، السودان، سنة 1427هـ - 2006م، ص: 83.

تستطيع أن تحمل وما لا تستطيع من المعاني والرموز، فكلماته كانت تملأ الآفاق فهي تجلجل كالأجراس، وهي ذات صدى ودوي يهز المشاعر فهذا الشاعر الأمة قد إمبراطورية للشعر العربي كان أبو العلاء من دعاها.¹

فقد أحبه أبو العلاء المعري، فتجاهل نقد ولم يتطرق له، فكان يقرأ عليه شعره، فيعجب به، فسئل مرة أي الثلاثة أشعر؟ أبو تمام، أم البحري، أم المتنبي؟ فأجاب المتنبي وأبو تمام حكيمان والشاعر البحري.

كان يكتبه بالشاعر، وكان حبه له شديدا جعله يطلق عليه معجز أحمد، فالشاعر المعري كان متعصبا له، وكان ينجح في عنف نحوه رافعا من شأنه.²

3-6- السرقة الأدبية:

قال الجرجاني: السرقة داء قديم، وعيب عتيق، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، ويعتمد على معناه ولفظه، وكان أكثره ظاهرا كالتوارد، وإن تجاوز ذلك قليلا في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ، ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتعبير المنهاج والترتيب، وتكلفوا جبر ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في الحال، والاحتجاج والتعليل، فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور.

فالقول بالسرقة قديم قدم الشعر العربي، شغل حديثا النقاد والشعراء، وما ذلك إلا لزعرة التقليدي التي لازمت الشعر العربي منذ أقدم العصور، وقد ذهب طائفة من العلماء إلا أنه ليس لقائل أن يقول: إن لأحد من المتأخرين معنا متبعا، لأن قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية.

قال حسان في دفاع فخور:

لَا أَسْرِقُ الشُّعْرَاءَ مَا نَطَقُوا ***** بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرَهُمْ شِعْرِي

¹ شايب فرح فنحول عبید، القاضي الجرجاني ناقدا من خلال كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، ص: 84.

² المرجع نفسه، ص: 85 - 86.

فإن الاهتمام بالسرقة لم ينج منه شاعر، لا بد أن يقع شاعر ما على معنى قال فيه غيره وقد تتشابه العبارات.¹

4- السرقات في عصر صدر الإسلام:

أصبحت فكرة السرقات الشعرية أكثر شيوعاً مما كانت عليه في العصر الجاهلي خاصة مع اعتماد الشعر على الرواية وتناشد الأشعار في الأسواق الذي جعل حسان بن ثابت هو المخضرمين يتبرأ منها ومن السرقة يقول:

لَا أَسْرِقُ الشُّعْرَاءَ شِعْرَهُمْ ***** بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرَهُمْ شِعْرِي
إِنِّي أَبِي لِي ذَلِكُمْ حَسْبِي ***** وَمَقَالَةٌ كَمَقَاطِعِ الصَّخْرِ
وَأَخِي مِنَ الْجَنِّ الْبَصِيرِ إِذَا ***** حَاكَ الْكَلَامُ بِأَحْسَنِ الْحَبِيرِ

وقد أفاد فائدتين براءتهم من الأخذ وعن شعرهم ممتاز عن شعر غيره. وعلى الرغم من عدم سرقة وكان إصراره على موافقة على هذه الأشعار المسروقة إلا أن إبداعه لم يسلم من النقد وتنقيب النقاد لمعرفة سرقاته، من ذلك ما أورده ابن وكيع عن "حسان بن ثابت" أنه سرق بيته:

وَنَشْرُبُهَا فَتَتْرَكُنَا مُلُوكًا ***** وَأَشَدًّا مَا يُنْهِنُهَا اللَّقَاءُ

من عشرة إذا يقول:

فَإِذَا سَكَرْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ ***** مَالِي وَعِرْضِي وَأَفِرُّ لَمْ يُكَلِّمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى ***** وَكَمَا عَلِمْتُ شَمَائِلِي وَتَكْرُمِي

وهذا يحيطنا بعدم طرق الشاعر لمعاني سابقه وإفصاحه عن بعده على الأخذ في قصائده.²

¹ شايب فرح فنجول عبيد، القاضي الجرجاني ناقدا من خلال كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، ص: 80.

² المرجع نفسه، ص: 125 - 130.

إلا أن النقاد كانوا يخللون قصائدهم حتى في جزئياتها لاستخراج مواطن السرق ولم يستسلموا لهذه الإفرازات الأدبية وهذا يبين لنا عن بداية تطور النقد في العصور التي بعد العصر الجاهلي، كان النقد فطري أصبح يعتمد على التحليل والتنقيب كما قال: ابن قنبر ان كعب بن الزهير أخذ قوله:

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا *****
كأن مكان الردف من ظهره قصر

من قول امرئ القيس:

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا *****
لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ

وأخذ النجاشي أيضا فقال:

أَمِينُ الشَّظَا عَارِي الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا *****
أَقْبُ الْحَشَا مُسْتَدْرِعُ النَّدْفَانِ

وأضاف ابن رشيق في قراصة الذهب أن قول "امرئ القيس):

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دُبُّ مُحَوَّلٌ *****
مِنَ الدَّارِ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لِأَثْرَا

أخذه حسان بن ثابت فقال:

لَوْ يَدُبُّ الْحَوَلِيُّ مِنْ وَكْدِ الذُّرِّ *****
عَلَيْهَا لَا نَدَبَتْهَا الْكُلُومُ

وقد أكد ابن سلام الجمعي سرقات النابغة الجعدي من خلال الرواية التي أوردها في طبقاته

بقول: "دخل النابغة الجعدي على الحسن بن علي فودعه، فقال له الحسن، أنشدنا من بعض

شعرك، فأنشده قوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ *****
مَنْ لَمْ يَقْلَهَا فَتَنَفَسَهُ ظُلْمًا

الفصل الأول: ظاهرة الانتحال عند ابن سلام.

1- ماهية الانتحال.

1-1- مفهوم الانتحال.

1-2- أسباب انتحال الشعر.

1-3- أسباب الاهتمام بالشعر وجمعه.

1-4- الشعر ديوان العرب.

2- الانتحال عند ابن سلام.

2-1- قضية الانتحال عند ابن سلام.

2-2- مزايا الشعر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

2-3- اختلاف الرواية أساس السرقة عند ابن سلام.

2-4- الانتحال عند المستشرقين.

2-5- الانتحال عند العرب المحدثين.

1- ماهية الانتحال.

1-1- مفهوم الانتحال.

1-1-1- تعريف الانتحال لغة: جار في لسان العرب لابن المنظور.

"نحل جسمه ونحل، ينحل نحولا فهو ناحل ذهب من مرض أو سفر والفتح أفصح وانتحل، فلان شعر فلان: إذا ادعاه انه قائله، وتنحله ادعاه وهو لغيره ونحله القول ينحله نحلا: نسبه إليه ونحلته القول أنحله نحلا بالفتح: إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره وادعيت عليه ونحل الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه، وهو من قبل غيره. وقال الأعشى في الانتحال "فكيف أنا وانتحالي القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا؟"¹

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

"نحل: النون والحاء ولام كلمات ثلاث: الأولى تدل على الدقة وهزال والأخرى على العطاء والثالثة على ادعاء. الأولى نحل جسمه نحولا فهو ناحل، إذا دق وأنحله هم، والتواحل: السيف التي رقت طبائنها من كثرة الضرب بها والثانية نحلته كذا أي أعطيته والاسم النحل قال أبو بكر: "وسمي الشيء المعطى النحلان" ويقولون النحل: إن تعطي شيئا بلا استعواض. ونحلت المرأة مهرها نحلة، أي عن طيب نفس من غير مطالبة كذا قال المفسرون في قوله تعالى "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا" سورة النساء الآية 04، والثالثة قولهم: انتحل كذا إذا تعطاه وادعاء وقال قوم: انتحله إذا ادعاه وقال قوم: انتحله إذا ادعاه محقا وتنحله، إذا ادعاه مبطلا. وليس هذا عندنا بشيء ومعنى انتحل وتنحل عندنا سواء والدليل على ذلك.²

¹ جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، باب النون، مادة نحل، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 13، ط 01، ص ص 212-213.

² أبي الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1432-1433، 211م، ص ص: 1018-1019.

قول الأعشى:

"فَكَيْفَ أَنَا وَأَنْتِ حَالِي الْقَوَا **** فِي بُعْدِ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارًا"¹.

وورد مصطلح الانتحال في القاموس اللغوي:

انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان، إذا ادعاه إنه قائله وتنحله، ادعاه وهو لغيره وانتحل القول ينتحله نحلا، نسبه إليه ونحلته القول أنحله نحلا إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه.

ويقال: نحل الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه وهي من قبل غيره وانتحل فلان كذا وكذا معناه قد ألزمه نفسه وجعله كاملاً له.

والانتحال من السرقات عند البلاغيين وهو أن يأخذ الشاعر أبياتاً لشاعر آخر وينتحلها لنفسه كقول جرير:

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بُلْبُكَ غَادَرُوا ***** وَشَلَّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مُعِينًا
وَعَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاهِمَ وَقُلْنَ لِي ***** مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا.

وإذن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلها جرير.

وانتحل جرير قول طفيل الغنوي:

وَلَمَّا التَّقَى الْحَيَانَ أَلْقَيْتُ الْعَصَا ***** وَمَاتَ الْهَوَىٰ لِمَا أُصِيبَ مَقَاتِلُهُ

وذلك قال الفرزدق:

إِنْ تَذَكَّرُوا كَرَمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمْ ***** وَأَوَابِدِي تَنْتَحِلُوا الْأَشْعَارَ.²

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، المجلد 07، العدد 02، جامعة عباس لغرور خنشلة، قسم اللغة والأدب العربي، 2018، ص: 168 – 169.

² أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، د ط، 2007، ص: 190.

1-1-2- تعريف الانتحال اصطلاحاً:

ورود في معجم المصطلحات الانتحال هو "أن يأخذ الشاعر كلام غيره بعد كلمة بنسبته له، بلفظه كله ومن غير تغيير لنظمه أو أن يأخذ المعنى وتبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها".

ويمكننا إيجاز مفهوم الانتحال بأنه: نسبة الشعر لغير قائل، سواء كان ذلك بنسبه شعر نحل غلى آخر أو أن يدعى انتحل شعر غيره لنفسه أو أن ينظم شعرا وينسبه لشخص شاعر سواء كان له وجود تاريخي أم ليس له وجود تاريخي وقد التفت علماء العربية إلى هذه الظاهرة وأولوها أهمية وعناية وبحثا إذا بوكر.

ابن سلام الجمحي: ذلك حيث يقول، وفي الشعر مصنوعٌ مفتعلٌ كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديحٌ رائعٌ، ولا هجاء مقذعٌ، ولا فخر معجبٌ، ولا نسيبٌ مستطرفٌ، وقد تداوله قومٌ من كتاب إلى كتاب ولو يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء.¹

تختلف كلمات النحل والانتحال والمستنحال وهي جميعا منحدره من حذر لغوي واحد، ذلك أن كلمة النحل التي تخلو من الحروف أو أصوات الزيادة نحدد نسبة الشيء إلى من يملكه أو لم يكن سبب في وصفه أو إنشائه أو كتابته من غير أن يكون المنسوب إليه سببا في هذه النسبة وقد جاء في لسان العرب: "نحله القول نحلا نسبة إليه، ونحلته القول أنحله نحلا بالفتح: إذ أضفت إليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه".

خلال هذا المفهوم يتضح أن هناك طرفين في عملية النحل هذه الشخص الذي بقى بعملية النحل والشخص المستفيد منها، ويشترك اسم الفاعل من النحل بالنسبة للطرف الأول فيسمى الناحل، أما المستفيد فتسميته هي المنحول له ولا بد من موضوع منحول، حدده "أبي منظور" في

¹ أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص: 169 - 170.

القول فقط. كل قول أي بعموم اللفظ، غير أنه يمكن توسيع هذا الموضوع بناء على معطيات معاصرة، ليشمل غير القول كالبوحة التشكيلية إذا نسيت بغير مبدعها على سبيل المثال أو اللحن الموسيقي لا سيما وقد شاعت في عصرنا عملية القرصنة في المجال السمعي البصري.¹

وتعتبر الأصوات التاء في الانتقال، والألف والسين والتاء في الاستنحال وحدث صوتين تميزه بين هاتين الكلمتين الآخريتين، وبينهما معا من جهة، والنحل من جهة أخرى ومعلوم أن كلمتي النحل والانتحال موجودتان في اللغة العربية، بعد ما صارتا مصطلحين نقديين متداولين ومعروفين في النقد الأدبي العربي منذ القديم، حيث يشير المصطلح الأول إلى ظاهرة أدبية محددة، تتعلق بنسبة شخص الأديب أو شاعر نصا أدبيا أو شعريا أي قولاً أدبياً، ليس هو مبدعه أو كاتبه²، بينما يشير مصطلح الانتقال في عملية يصير فيها الناحل والمنحول له واحداً لذلك.³

فعملية الانتقال هنا ذاتية لسبب من الأسباب، لكن كذلك بغير الأدب، هذه العبارة الأخيرة أي غير الأدب لا تغير من ماهية مفهوم النحل والانتحال ولكن تؤدي إلى توسيع مقوماتها التي تتضمن القول الأدبي والقول الشعري جزء منه وغير الأدبي الفني وغير الفني.

ومن هذه الجهة يشترك النحل والانتحال وعليه فإن عملية الانتقال فردية، يتطابق فيها الناحل والمنحول له فيصيران واحد لذلك وجدت الكلمة التي تدل على هذا التطابق دون سواه، وهي الانتقال يختلف عن النحل ولأن هذا الأخير يتطلب طرفين وليس طرفاً واحداً، بناء على ما سبق يتضح أن النحل والانتحال يقفان في توسيع موضوعاتهما فيه ويختلفان في الفاعل والمستفيد.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد 11، ص: 651.

² المصدر نفسه، ص: 11.

³ المصدر نفسه، ص: 651.

إن الفاعل في الانتحال هو نفسه المستفيد، أما في النحل فهناك فاعل وهناك مستفيد وهناك شخصان وليس شخصا واحدا كما في حالة الانتحال.¹

كما نجد أن علماء البلاغة والأدب نظروا في مختلف السرقات الأدبية فرأوا أنها تنقسم إلى عدة أقسام ومنها "النسخ أو الانتحال" وهو أن يأخذ أحد الشعارين أو الناثرين المعنى الذي سبق إليه الآخر ولفظه كله أو أكثره وهذا النوع يكون بثلاثة وجوه:

أ- الوجه الأول: أن يأخذ المنتحل لفظ السابق ومعناه، ولا يخالفه في شيء ومن أمثلة هذا الوجه ما حكى أن "عبد الله بن الزبير" الشاعر، دخل على معاوية فأنشده:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصِفِ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ***** عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيُرْكَبُ حُرَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ ***** إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَقْرَةِ السَّيْفِ مَزْمَلُ

فقال له معاوية "لقد شعرت بعدي يا أبا بكر".

ولم يفارق "عبد الله بن الزبير" الشاعر مجلس معاوية حتى دخل معن بن أوس المزني فأنشده قصيدته التي يقول في مطلعها:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ ***** عَلَى أَيِّنا تَعْدُو الْمَنِيَّةِ أَوَّلُ

حتى أمها وفيها البيتان اللذان أنشدهما عبد الله بن الزبير فأقبل معاوية على عبد الله وقال له : ألم تخبرني أنهما لك؟ فقال عبد الله المعنى لي واللفظ له، وبعد فهو أخي من الرضاة، وأنا أحق بشعره.¹

¹ جريدة "الشرق الأوسط"، الجمعة 09 أبريل 2004، العدد 9264.

ب- الوجه الثاني: أن يأخذ المنتحل لفظ السابق ومعناه ولا يخالفه غلا بالقافية أو نحوها ومن

أمثلة هذا الوجه قول امرئ القيس:

وُقُوفًا بِهَا صُبْحِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ***** يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلَ

هذا البيت سطا عليه "طرفة بن العبد" فقال:

وُقُوفًا بِهَا صُبْحِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ***** يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدَ

فيغير الكلمة الأخيرة من البيت، ليوافق روي قصيدته:

ت- الوجه الثالث: أن يأخذ المنتحل معنى السابق وأكثر ألفاظه، ومن أمثلة هذا الوجه ما روي

للأبرد اليربوعي:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ***** إِذَا السَّنَةُ لِلشَّهْبَاءِ أَعْوَزَهَا الْقَطْرُ

وما روي لأبي نواس:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ***** وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَائِرَاتِ تَدُورُ

فالشطران الأولان من البيتين متطابقان والآحران مختلفان.²

ولقد شاع مصطلح الانتحال ليدل على قضية الشك في الشعر الجاهلي ولقد درس القدماء

أمثال ابن سلام الجمحي قضية الانتحال وذكروا بعضا من مشاهير المنتحلين أمثال خلف الأحمر

وجهاد الراوية وغيرهم.

¹ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الدار الشامية للطباعة والنشر، بيروت، ط 01، 1416-1996 م، ج 01، ص: 550.

² عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ص: 551 - 552.

1-2- أسباب انتحال الشعر.

1-2-1- ليس الانتحال مقصورا على العرب: يجب أن يتعود الباحث درس تاريخ الأمم

القديمة التي قدر لها أن تقوم بشيء من دلائل الأعمال، وما اعترض حياتها من الصعاب والمحن وألوان الخطوب والصروف، ليفهم تاريخ الأمة العربية على وجهه ويرد كل شيء فيه إلى أصله، وإذا كان هناك شيء يؤخذ به الذين كثيرا تاريخ العرب وآدابهم فلم يوفقوا إلى الحق فيه، فهو أنهم لم يلموا إماما كافيا بتاريخ هذه الأمم القديمة أو لم يخطر لهم أن يقارنوا بين الأمة العربية كأنها أمة فذة لم تعرف أحدا ولم يعرفها أحد، لم تشبه أحدا ولم يشبهها أحد، لم تؤثر في أحد ولم يؤثر فيها أحد. بل قيام الحضارة العربية وانبساط سلطاتها على العالم القديم¹، والحق أنهم لو درسوا تاريخ هذه الأمم القديمة وقارنوا بينه وبين تاريخ العرب لتغير رأيهم في الأمة العربية ولتغير بذلك تاريخ العرب أنفسهم ولست أذكر من هذه الأمم القديمة غلا أمتين في العصور القديمة وهي الأمة اليونانية والأمة الرومانية كلتاهما تحضرتا بعد بداوة وكتلتهما خضعت في حياتهما الداخلية لهذه الظروف السياسية المختلفة. وكتلتهما لم تبسط سلطاتها على الأرض عبثا وإنما نفعت وانتفعت وتركت الإنسانية تراثا قيما لا تزال تنتفع به إلى حد الآن، ترك اليونان فلسفة وأدبا، وترك الرومان تشريعا ونظاما.

وكذلك كان شأن هذه الأمة العربية تحضرت كما تحضر اليونان والرومان بعد بداوة، وتأثرت كما تأثر اليونان والرومان بظروف سياسية مختلفة، وانتهى بها تكوينها السياسي إلى مثل ما انتهى

¹ طه حسين، في الشعر الجاهلي، د ط، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ص: 48.

التكوين السياسي لليونان والرومان إليه من تجاوز الحدود الطبيعية وبسط السلطان على الأرض وتركت كما ترك اليونان والرومان الإنسانية تراثا قيما خالدا فيه أدب وعلم ودين.¹

إن هذه الظاهرة التي نحاول أن ندرسها في هذا الكتاب والتي يجزع لها أن صار القديم جزءا شديدا ليست مقصورة على الأمة العربية وإنما تتجاوزها غلى غيرها من الأمم القديمة ولا سيما هاتين الأمتين الخالدين فلن تكون الأمة العربية أول أمة انتحل الشعر في الأمة اليونانية والرومانية من قبل وحصل على قدمائها كذبا وزورا. وإنما انتحل الشعر في الأمة اليونانية والرومانية من قبل وحمل على القدماء من شعرائها وانخدع به الناس وآمنوا له. ونشأت على أثر هذا الانخداع والإيمان سنة أدبية توارثها الناس مطمئنين لها، حتى كان العصر الحديث وحتى استطاع النقاد من أصحاب التاريخ والأدب واللغة والفلسفة أن يردوا للأشياء إلى أصولها ما استطاعوا غلى ذلك سبيلا.²

وأنت تعلم أن حركة النقد هذه بالقياس إلى اليونان والرومان لم تنته بع، وأنها لن تنتهي عدولا بعد غد، وأنت تعلم أنها قد وصلت غلى نتائج غيرت تغيرا تاما ما كان معروفا متوارثا من تاريخ هاتين الأمتين وآداهما.³

1-2-2-1- أسباب وضع الشعر عند ابن سلام:

1-2-2-1- تزيد القبائل في شعر شعرائها، وقولهم الشعر على ألسنة الشعراء ليذيع لهم مغافر

ووقائع كسائر القبائل قال ابن سلام:

¹ المرجع نفسه، ص: 49.

² طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 56.

³ المرجع نفسه، ص: 57.

لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم. وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فراحوا في الأشعار التي قيلت.

1-2-2-2- وجد بعض الشعراء شعرهم أو شعر من يروون لهم قليلا فقاموا بوضع الشعر لأسباب عديدة الرواة الوضاعون، ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلا كثيرا وتنسبه إلى الجاهلين:

● طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه وتضيف ما تنظمه وتصوغه على الجاهليين ومثل لها بحماد وهناك أشباها لها مثل جهاد وخلف الأحمر.

● وطائفة لم تكن تحسن النظم ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلي، ولكنها كانت تحمل كل غناء منه وكل زيف وهم رواية الأخبار والسير والقصص، من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية إذا كانت يصنع له الأشعار ويدخلها في سيرته دون تحز راو تحفظ بالشعر العربي من لم ينطقوه من قوم عاد وثمود والأقوام البائدة.¹

ورفض ابن سلام الأصمعي وأضارهما رواية الطائفتين جميعا، فلم يقبل شيئا يرويه أشبه حماد إلا أن يأتيهم من مصادر وثيقة، وكذلك لم يقبلوا منها شيئا يرويه ابن إسحاق لا عن الأمم البائدة فحسب بل عن عرب الجاهلية أنفسهم.²

1-3- أسباب الاهتمام بالشعر وجمعه.

1-3-1- الحفاظ على القرآن الكريم ومعرفة تفسيره، يقوا بان عباس رضي الله عنه: "إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب".

¹ ديوان عنتره، مطبعة الآداب لأمين حوري، بيروت، ط 04، 1893 م، ص: 81.

² الجاحظ، الحيوان، ج 03، ص: 311.

1-3-2- كلما كان من أسباب الجمع ودراسة الشعر استنباط قواعد اللغة.

1-3-3- كذلك كان الاهتمام به لمعرفة الأيام والأخبار والأنساب لدى العرب، فقد كان ديوانهم وسجل حياتهم وقد صار الرواة في هذا العصر فئتين اثنتين لكل منهما أسلوب ومنهج خاص:¹

أ- الرواة الكوفيون: وعرفوا بنقل الشعر الكثير والاعتماد على السمع، وهم متساحون في روايته قليلا ما يتفقدون عنده للتحقيق من صحته ومن أشهر رواة "المفضل الضبي" صاحب المفضليات الذي اشتهر بالأمانة وكذلك "ابن الأعرابي" و"ثعلب" كما وجد في هذه الفئة من اشتهر بالكذب والبخل من أمثال "حماد الراوية".

ب- الرواة البصريون: وقد عرفوا بصدقهم ودقتهم وتحريمهم وعدم ميولهم لكل شيء شاذ يأتي في مقدمتهم أبو عمرو بن علاء وهو أحد القراء السبعة والأصمعي صاحب الأصمعيات، ومثل ما كان في الكوفة رواة فاسدون كذلك فقط كان في البصرة من أمثال: خلف الأحمر الذي سار على سيرة أستاذه حماد الراوية وكلا الشخصية "حماد وخلف" عالم طماع فاسد المروءة منهم في دينه فاسق وكلاهما من الموالي، وإن كان خلف الأحمر فقد عدل من ذلك في أخريات حياته وعلى العموم يمكن أن تخرج بنتيجتين في أمر الراوية الشعر:

- أن رواية الشعر لم تنقطع واستمرت زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده حتى عصور التدوين، وإن كان قد ضاع بعض من هذا الشعر كما يقول أبو عمر بن علاء: "ما انتهى إليكم من كلام العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير".
- أن الشعر لم يكن في يد قلة قليلة من الرواة الوضاعون بل كان ورائهم علماء ثقات يصححون وينتقدون ولا ينقلون سوى الصادق كأبي عمر العلاء والأصمعي والمفضل الضبي.¹

¹ كوثر محمد القاضي، الأدب في العصر الجاهلي، ص: 29528.

1-4- الشعر ديوان العرب.

إن للغة العرب ديوانا ليس لسائر لغات الأمم وهو الشعر الذي قيدوا به المعاني الغربية والألفاظ الشاردة، فإذا أحوجوا إلى معرفة معنى حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي هو ديوان العرب لهم، متفق عليه مرضي بحكمه. مجتمع على صحة معانيه وأحكام أصوله. محتج به على ما اختلف فيه من معاني الألفاظ وأصول اللغة.²

و"الشعر" هو كلام الموزون على روي واحد المقوم على حذو واحد، قد حذي البيت بالبيت حذو النعل والقذة بالقذة حتى لا يخالف بعضه بعضا في الوزن والروي، وإنما سموه شعرا لأنه الفطنة بالغوامض من الأسباب.

وسموا الشاعر شاعرا لأنه كان يظن لما يظن له غيره من معاني الكلام وأوزانه وتأليف المعاني وإحكامه وتثقيفه وكان لا يفوته من هذه الأسباب كلها شيء، قال عنتره:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ *****
أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ

يعني أن الشعراء يدعوا شيئا إلا وفطنوا له، يقال: شعرت بالشيء إذا فطنت له، قالوا كسائي في قول الله عز وجل "ولكن لا تشعرون" شعرت بالشيء شعرا وشعورا.³

1-4-1- الشعر القديم برواية ابن سلام: قال محمد بن سلام : كان عند آل منذر ديوان فيه

شعر الشعراء الفحول وما مدح به هو وآل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان أو ما صار منه.

¹ مرجع نفسه، ص: 30.

² أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضة بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، اليمن، ط 01، 1994، ص: 93-94.

³ المرجع نفسه، ص: 94.

قال: ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا أبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وعلى عهد هاشم بن عبد المناف، وهذا دليل على إسقاط ما روي من الشعر القديم لعاد وثمود وتبع وحمير.¹

1-4-2- مهلهل وامرئ القيس: وإنما أنشئ الشعر أيام هاشم وأيام عبد المطلب فقصدوا

القصائد وطولوها، قال: وأول من قصد القصائد وذكر الوقائع مهلهل بن ربيعة الثعلبي في قتل أخيه كليب قتلته بنو شيبان، واسم مهلهل عدي سمي مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب، ويقال: لاختلافه واضطرابه من ذلك قول النابغة:

أَتَاكَ بِقَوْلِ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٌ * * * * * وَكَمْ يَأْتِي بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ سَاطِعٌ

ثم كان امرئ القيس بن حجر وهو أول من ابتدع في الشعر أشياء سبق الناس إليها منها استيقاف صحبه في الديار والتبكي فيها ورقة النسيب وقرب المأخذ وشبه النساء بالظباء والبيض والدمى، وشبه الخيل بالعقبان والعصبي وقيد الأوابد فابتعه الشعراء على ذلك واستحسنوا ذلك منه.²

1-4-3- تهجين الشعر الذي يشوبه باطل: ثم نزل القرآن بتهجين الشعر حين شبه الكفار

والمنافقون ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر فأنزل الله عز وجل وهو الحق الذي لا يشوبه باطل. لقول الله عز وجل "وما علمناه للشعر وما ينبغي له" يعني أن القرآن هو الحق الذي لا يخالطه الكذب، حكمه بالغة مترهة عن قول الشعر وتحرص الشعراء وصان عز وجل رسوله صلوات الله عليه عن إنشاد الشعر فضلا عن قيئه لكي لا يختلط كلام الله عز وجل بالشعر.

¹ المرجع نفسه، ص: 96.

² أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضة بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، ص 100.

والذي أنزل الله عز وجل في تهجين الشعر قوله: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له" وقول عز وجل: "والشعراء يتبعهم الغاؤون" فهذا في الشعراء الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل: كعب بن الأشرف وعبد الله بن الزبغرى قبل دخوله في الإسلام وهبيرة بن أبي وهب وغيرهم ممن أذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجائهم آياه والغاؤون هم الذين اتبعوهم من كفار قريش وغيرهم ممن رؤوا ذلك الشعر معاداة له وتعصبا عليه، ثم استثنى عز وجل المؤمنين من الشعراء فقال عز اسمه "غلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" يعني عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ودافعوا عنه بشعرهم.¹

2- الانتحال عند ابن سلام.

2-1- قضية الانتحال عند ابن سلام.

تعد قضية الانتحال في الشعر من أبرز القضايا النقدية التي عالجها ابن سلام في كتابه "طبقات فحول الشعراء" وهو أول من انتبه إلى هذه الخطورة في عصره ذلك العصر التي ازدهرت فيه حركة التدوين حيث اهتم علماء العربية بجمع العلوم والمعارف العربية والإسلامية من أفواه الرواة وعكفوا على تحقيقها والتأكد من صحة روايتها وتخليصها مما علق بها من أغاليط الرواة ووضع الواضعين. وقد لاحظ ابن سلام ان بعض الشعر الجاهلي الذي تبن قلة الرواة مصنوع واستدل على ذلك بدليلين أولهما عدم وجود قرينة على انتماء بعض ما يتداوله الرواة مكتوبا إلى العصر الجاهلي فهو لم يأت مرويا عن أهل البادية ولم يعرض على علماء العربية الثقات.²

وثانيهما: يعود إلى ضعف مستوى ذلك الشعر فهو شعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج... ولا نسيب مستطرق ومن هؤلاء الرواة نجده ينتقد "محمد ابن إسحاق" صاحب السيرة إذ يرى انه هجن الشعر وأفسده وأورد في كتابه

¹ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضة بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعربي الحرازي، ص: 108.

² ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 84.

أشعارا لأناس لم يقولوا الشعر قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر غنما هو كلام مؤلف معقود بقواف الأمر الذي جعل "ابن سلام" ينفي هذا الشعر ويرفضه مبينا الأدلة التي تستدعي رفضه وهي:

2-1-1-أدلة قرآنية: وتمثل فيما جاء في لقرآن الكريم من آيات عديدة تحدث عن الأمم السابقة وانقطاع دابر بعضها فالله تعالى يقول: "وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقي".¹ ويقول في عاد "فهل ترى لهم من باقية"² فإذا كان الله قد أهلك قوم عاد وثمود جميعا فمن إذن حمل هذا الشعر ومن أداه من آلاف السنين؟.

2-1-2-أدلة تاريخية: تتمثل في رجوع ابن سلام إلى تاريخ اللغة العربية واختلاف لمحات العرب، وكذلك إلى تاريخ الشعر العربي، حيث يرى أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد وثمود، وليس يصح في الأذهان أن يوجد شعر بلغة لم توجد بعد تأول من تكلم بالعربية هو إسماعيل ابن إبراهيم وإسماعيل كان عماد وثمود.

أن الشعر الموضوع المنحول الذي نسبه الرواة إلى قوم عاد لا يمثل لغة عاد فعاد من اليمن ولسان اليمنيين يختلف عن هذا اللساني العربي ويستدل ابن سلام على ذلك بقول أبي عمرو بن علاء العرب كلها ولد إسماعيل غلا حمير وبقايا جرهم: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا".

ويقوم الحجة على رواة تلك الأشعار موضوعة فيقول: فكيف بما عهد على عاد وثمود مع تداعيه ووهيه؟ فلو كان الشعر مثلما وضع لابن إسحاق مثل: ما روى الصحفيون ما كانت إليه حاجة ولا فيه دليل على علم.³

¹ سورة النجم، الآية 50 - 51.

² سورة الحاقة، الآية 08.

³ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 11.

إن تاريخ الأدب العربي لا يذهب بالشعر الجاهلي إلى ذلك العصر الموعول في القدم، بل إن ازدهار الشعر لم يكن قبل الإسلام بكثير ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا أبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد، وطول الشعر في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد المناف، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع.¹

ثم حدد ابن سلام الأسباب التي جعلت العرب تصنع الشعر وتنسبه لأناس لم يقولوه فيرى أن الانتحال يرجع إلى عاملين:

أ-الأول العصبية القبلية في العصر الإسلامي:

انحصرت بعض القبائل العربية على أن تصنيف لإسلامها ضروريا من مكانة والمجد، فوجدت في الشعر ضالتها ومعلوم أن الشعر الجاهلي قد ضاع منه الكثير، قال أبو عمر بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"، أما أسباب ضياع ذلك الشعر فقد بينها ابن سلام فيقول: "فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارسي والروم"، ونهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمطار ورجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان ملون ولا كتاب مكتوب، وألقوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك العرب بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منهم كثير، لذلك لاحظ ابن سلام قيام بعض القبائل التي قل نصيبها فيما بقي من شعر بالوضع على ألسنة شعرائهم، يقول ابن سلام: "فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم وأشعارهم، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم، ثم كان الرواة بعد فزادوا في الأشعار، وليس بشكل أهل العلم زيادة

¹ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 46.

ذلك، ولا ما وضع المولون وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال.¹

ب- الرواة وانتحال الشعر:

تحميل الجاهليين ما لم يقولوا من الشعر والنثر هم الرواة وهم بين اثنين:

- إما يكونوا من العرب فهم متأثرون بما كان يتأثر به العرب؛
- وإما يكونوا من الموالي فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالي من تلك الأسباب العامة، وهم على تأثرهم بهذه الأسباب العامة متأثرون بأشياء أخرى هي التي يريد بها أن يقف عندها وقفات قصيرة.

إن المؤثرات التي عتبت بالأدب العربي وجعلت خطه من الهزل عظيمًا هي مجون الشعراء وإسرافهم في اللهو والعبث وانبعاثهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلا ما يأباه الدين وشكره الأخلاق.²

وصف طه حسين ما كانوا فيه من اللهو والمجون من بينهم حماد الراوية وخلف الأحمر، كان حماد الراوية زعيم أهل الكوفة في الرواية والحفظ أيضا، أما خلف الأحمر زعيم أهل البصر في الرواية والحفظ، أيضا كلا الرجلين مسرفا على نفسه ليس له حظ من دين ولا خلف ولا احتشام ولا وقار، كان كلا الرجلين سكيرًا فاسقًا مستهترا بالخمر والفسق وكلا الرجلين صاحب شك ودعابة ومجون، فأما حماد كان صديقا لحماد عجرد وحماد الزبرقان ومطيع ابن أياس وكلهم أسرف فيما لا يليق بالرجل الكريم الوقور وأما خلف فكان صديقا لوالبة بن الحباب وأستاذ لأبي

¹ المرجع نفسه، ص: 50.

² طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 13.

نواس، وكان هؤلاء جميعاً في أمصار العراق الثلاثة مظهر الدعابة والخلاعة وكان كل الناس يتفنون على أن لا يصفعهم أحد بخير ولا يزعم لهم أحد اصطلاحاً في الدين أو الدنيا.¹

وأهل الكوفة مجتمعون على أن أستاذهم في الرواية خلف عنه أخذوا ما أخذوا من شعر العرب أيضاً، وأهل البصرة والكوفة مجتمعون على تجريح الرجلين في دينهما وخلقهما ومروءتهما، وهم مجتمعون على أنهما لم يكونا يحفظان من الشعر ويحسنان في روايته ليس غير وإنما كان شاعرين ماجدين يصلان من التقليد والمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما يرويان وما ينتحلان.

فأما حماد فيحدثنا عنه راوية من خيرة رواة الكوفة هو المفضل الضبي أنه قد أفسد الشعر إفساداً لا يصلح بعده أبداً، فلما سؤل عن سبب ذلك ألحنّ أم خطأ قال: ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من الخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء.²

ويحدثنا محمد ابن سلام أنه دخل على بال ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري فقال له بلال: ما أطرقتني شيئاً، فغدا عليه حماد فأنشده قصيدة للحطيئة في مدح أبي موسى، قال بلال: ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعرف ذلك ولا أروي شعر الحطيئة! ولكن دعها تذهب في الناس وقد تركها حماد فذهبت في الناس وهي في ديوان الحطيئة والرواة أنفسهم يختلفوا.

وكان يونس بن حبيب يقول: العجب لمن يروي عن حماد، كان يكسر ويلحن ويكذب، وثبت كذب حماد في الرواية للهدى، فأمر حاجبه فأعلن في الناس أنه يبطل رواية حماد وفي الحق أن حماد كان يسرف في الرواية والتكثير منها وأخباره في ذلك لا يكاد يصدقها أحد، فلم يكن يسأل عن

¹ نفس المرجع، ص: 131.

² طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 132.

شيء إلا عرفه وقد زعم للوليد بن يزيد أنه يستطيع أن يروي على كل حرف من حروف المعجم هاته قصيدة لمن لم يعرفه من الشعراء، قالوا وامنحنه الوليد حتى ضجر فوكل به من أتم امتحانه ثم أجازوه.

وهناك رواية كوفي لم يكن أقل حظا من صاحبيه هذين في الكذب والانتحال كان يجمع شعر القبائل حتى إذا جمع شعر القبيلة كتب مصحفا بخطه ووضع في مسجد الكوفة ويقول خصومه.¹ إنه كان ثقة لولا إسرافه في شرب الخمر وهو أبو عمرو الشيباني ويقولون إنه جمع بين شعر سبعين قبيلة.

وأكبر الظن أنه كان يجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعرا يضيفه إلى شعرائها وليس هذا غريبا في تاريخ الأدب، فقد كان مثله كثيرا في تاريخ الأدب اليوناني والروماني.

وإذا فسدت مروءة الرواة كما فسدت مروءة حماد وخلف وأبو عمرو الشيباني وإذا أحاطت بهم ظروف تحملهم على الكذب والانتحال ككسب المال والتقرب إلى الأشراف والأمراء والظهور على الخصوم والنافسين ونكاية العرب - نقول: إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف، كان من الحق علينا أن لا نقبل مطمئنين ما ينقلون علينا من شعر القدماء.² والعجب أن الرواة لم تفسد مروءتهم ولم يعرفوا بفسق ولا مجون ولا شعوبية قد كذبوا أيضا وانتحلوا، فأبو عمرو بن العلاء يعترف بأنه وضع على الأعشى بيتا:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ * * * * * مِنَ الْحَوَادِثِ غَلَا الشَّيْبُ وَالصَّلْعَا

وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء ليس من شك في أنهم كان يتخذون الانتحال في الشعر واللغة وسيلة من وسائل الكسب، وكان يفعلون ذلك في شيء من السخرية والعبث نريد بهم

¹ نفس المرجع، ص: 133.

² طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 134.

هؤلاء الأعراب الذين كان يرتحل إليهم في البادية رواة الأمصار عليهم في طلب الشعر والغريب وعنايتهم بما كانوا يلقون إليهم منهما، قدروا بضاعتهم واستكثروا منهم. وقد قدمنا أن هذا الكذب والانتحال في الأدب والتاريخ لم يكونا مقصورين على العرب وإنما هو حظ شائع في الآداب القديمة كلها.¹

ت - الرواة وزيادتهم في الأشعار:

لم تقتصر قضية نحل الشعر على الأمة العربية، وإنما تجاوزتها إلى غيرها من الأمم القديمة، قد نحل الشعر في الأمة اليونانية والأمة الرومانية من قبل، وحمل على القدماء من شعرائهما²، وقد يرجع سبب إلا إن هناك تشابه بين الأمة العربية والأمم اليونانية والرومانية، فهذه الأمم تحضرت بعد بدو، فخضعت حياتها الداخلية لظروف سياسية مختلفة، وانتهت إلى تكوين سياسي جعلها تتجاوز موطنها وتبسط سلطتها على الأرض، مهما يكن من الأمر فقد توفرت عوامل جعلت العرب ينحلون على القدماء من شعرائهم ومن أهم هذه العوامل:³

• العوامل السياسية:

فرضت الطبيعة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي نمطا معيناً من الحياة، وهي حياة كانت تقوم في الغالب على التزاحم على موارد المياه، مما جعل القبائل تعيش في وحدات متنافرة في كثير من الأحيان تعتمد السلب والإغارة وسيلة لحياتها وليس من شك في أن أيام العرب في الجاهلية كانت تصور جانبا من جوانب العلاقات القبلية وكان الشعراء في العصر الجاهلي يتكثرون على

¹ نفس المرجع، ص: 135.

² أنظر في هذا المجال كتاب الأدب الجاهلي، ص: 114.

³ محمد صابر حمدان وآخرون، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط 01، 1910، ص: 09.

الأيام في مفاخرهم وكان فن الهجاء من الفنون العريقة وسلاح فتاكا يهدد به الشاعر الخصوم، وما دام الأمر كذلك فليس غريبا أن يتفاخر القبائل إذا نبغ فيها شاعر، إلا أن العرب لم يسجلوا أشعارهم في العصر الجاهلي، وكان الرواة ينقلون هذه الأشعار بين القبائل وبقي هذا الأمر على هذا النحو إلى أن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى فألف بين القلوب، وانتقلت العصبية القبلية إلى عصبية دينية وبدأ الشعراء يفخرون أنهم نصروا الإسلام، ومنذ أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تكونت للإسلام وحدة سياسية لها قوتها المادية وإذا كان الصراع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة صراعا جدليا خاصا فقط أصبح في المدينة استعدادا للمواجهة مع الكفار وأحست قريش أن الأمر تجاوز الأوثان إلى شيء آخر وهو استعداد المسلمين لاستعداد السيادة السياسية في الحجاز، والاستيلاء على الطرق التجارية وأصبح هذا الجهاد سياسيا واقتصاديا ودينيا.¹

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يشترك الشعراء في الصراع وأن جبريل عليه السلام كان يؤيد حسان بن ثابت، واستطاع المسلمون أن يفتحوا مكة وأسلم أبو سفيان ومعه قريش وتمت للنبي هذه الوحدة العربية إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعمر طويلا بعد فتح مكة فما إن انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرقيق الأعلى حتى عادت العصبية وعادت الضغائن إلى الظهور واختلف المهاجرين من قريش والأنصار من الأوس والخزرج في الخلافة وأين تكون وانتهى الخلاف بأن أذعر الأنصار وقبلوا أن تخرج منهم الخلافة على قريش وانصرف المسلمون إلى الفتحات في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنه، فقد كان عمر رضي الله عنه صارما نهى عن رواية الشعر الذي تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فقط حسان بن ثابت ينشد شعرا في مسجد النبي يفخر بما قدمه الأنصار للإسلام.²

¹ محمد صابر حمدان وآخرون، قضايا النقد القديم، ص: 10.

² المرجع نفسه، ص: 12.

لما انتهت الخلافة إلى عثمان رضي الله عنه أحس أبو سفيان أن السيادة يجب أن تقدم خطوة أخرى فلم تصبح الخلافة في قريش فحسب، بل أصبحت بني أمية فاشتدت عصبية قريش واشتدت عصبية الأمويين واشتدت العصبية الأخرى، فكانت القبائل العربية تحرص على أن يكون مجدها في الجاهلية رفيعا فأخذت تبحث عن أشعارها الذي قيل في الجاهلية لأن العرب لم تكن تسجل أشعارها وكانت تعتمد على الرواة وكان أكثر الرواة قد ماتوا في حروب الردة والفتوحات والفتنة.¹

• العوامل الدينية:

لم يكن العامل الديني أقل أثرا في نحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين، وقد تطرق د. ط حسين إلى هذا العامل وأثره في نحل الشعر، يحدثنا ابن سلام أن القصاص حاولوا تفسير ما وجدوا مكتوبا في القرآن الكريم من أخبار الأمم البائدة كعاد وثمود فهو يذكر أن الشعر الذي يضاف إلى تبع وحمير هو شعر منحول وضعه ابن إسحاق ومن غليه من أصحاب القصص، يقول ابن سلام: "وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غناء ابن إسحاق مولى المخزومة بن عبد المطلب بن عبد المناف، وكان من أعلم الناس بالسير فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، إنما أوتي به فأحمله ولم يكن ذلك له عذرا فكتب في السير من أشعار الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول قد حمل هذا الشعر ومن أداه من ألوف السنين والله يقول: "وإنه أهلك عادا الأولى، وثمود فما أبقى" وقال في عاد: "فهل ترى لهم من باقية" وقال: "وعادا وثمود والذين من بعدهم لا يعمهم إلا الله"، واضح أن ابن سلام أشار إلى وضع القصاص شعرا يتحدث عن أمم بائدة، كما يستنج أن ابن إسحاق كان يعتمد على رواية يأتون له

¹ المرجع نفسه، ص: 13.

بالشعر فيرويه، ويحاول ابن سلام أن يثبت أن هذا الشعر منحول على الشعراء الجاهليين بالإتيان بآيات بينات تحدثنا أن الله تعالى أهلك عادا وثوردا فما أبقى.¹

2-2- مزايا الشعر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

نقول لما أراد الله صيانة هذه اللغة وتفضيلها وادخارها إلى الوقت الذي أنزل بها كتابه وبعث بها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنشأ لها من كل قبيلة شعراء قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فتكلموا بالشعر الرصين، المحكم بالمعاني، الموزون، بالعروض المقوم بالأنحاء من غير أن يعرفوا عروضاً أو نحوها بل ألهمهم الله بقليله حتى أبرزوه بألفاظ حسنة ومعان متقنة وقواف موزونة فرواه أهل اللب والأدب منهم وقبله أهل الشرف والحسب منهم وجعلوا رويه في ذكر الأحساب والمآثر ومدح الملوك والأكابر والنبلاء من الناس.²

وحفظ الرواة عنه كثيرا من ذلك الشعر ودونوه، ورواة السلف للخلف وعرفوا اختلاف لغة القبائل اصطلاح أهل المعرفة على صحة أصول اللغة فيه فرغب في تعلمه أهل الهمم، وصار ديوانا لهم في الجاهلية، عليه يعتمدون وبه يحكمون وبحكمه يرتضون حتى صار الشعراء فيهم بمترلة الحكام، يقولون فيرضي قولهم، ويحكمون فيمضي حكمه، وصار ذلك فيهم سنة يقتدي بها، وأثاره يحتذى عليه.³

2-2-1- الرواة الوضاعون للشعر: وكان من الرواة قوم انفردوا بعلم قبائل العرب وأشعارها

وأخبارها وما إليها وغلب ذلك عليه حتى لم تكن حاجة إلا فيه، وهؤلاء هم الذين فتقوا بألسنتهم هذه الفتوق في الأدب وليس يخفى أن الحاجة أم الاختراع، وقد كانت علوم أولئك نفر قاطبة تدور على الخير والشعر وليس في ذلك عندهم أكثر من الاستمتاع باللفظ الحسن والمعنى الطريف مما لا يبنى عليه دين ولا يدخل الناس منه في حرج ولا يكون فيه من بعد إلا

¹ محمد صابر حمدان وآخرون، قضايا النقد القديم، ص 13.

² أبي حاتم بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضة بأصوله، ص: 102.

³ أبي حاتم بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضة بأصوله، ص: 103.

إفساد التاريخ العربي، وقد تزيد فيه العرب أنفسهم ومصدر الرواية وقدوة الرواة، وهذا هو السبب في أنك لا تكاد تجد للجاهلية تاريخاً صحيحاً.

فأما الأخباريون الوضاعون فستعرف أمرهم، وأما أهل الشعر فهم يضعون منه لثلاثة أغراض:

للسواهد على العلوم - وقد مر الكلام عليها- والسواهد على الأخبار والانتحال في الرواية.¹

2-2-2- السواهد على الأخبار: وقد نشأ هذا النوع من الاستشهاد بالشعر التفسير والحديث

وعلى كل ما قامت به الرواية في الصدر الأول حتى قر في أوهام الناس أن ما لا شاهد له من

كلام العربي لا ثقة به كائناً ما كان علماً أو خيراً وكانت الأمة لا تزال على إرث الفطرة

العربية في اعتبار الشعر وتمجيده والاهتزاز له ثم كان ذلك عاملاً في سواد الناس من الخلفاء فمن

دوهم، فلما كثر القصاصون وأهل الأخبار اضطروا من أجل ذلك أن يصنعوا الشعر لما يلفقونه

من الأساطير حتى يلائموا بين رقعتي الكلام، فوضعوا من الشعر على آدم فمن دونه من الأنبياء

وأولادهم وأقوامهم وأول من أفرط في ذلك محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخزومة، وكان

من علماء السير والمغازي فكان الناس يعملون له الأشعار فيحمل منها كل غناء ويقطع قوافيها

على الهواء وقد كتب في السيرة من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء ثم

جاور ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعار كثيرة حتى صار فضيحة عند علماء السير ورواة

الشعر.²

2-2-3- شعر الجن وأخبارها: والقصاصون إنما قلدوا في ذلك الأعراب أيضاً وذهبوا مذاهبهم،

فالأعراب شعر كثير يزعمونه للجن ويعقدون له الأخبار، وقد تناقله عنهم الرواة وتظرفوا به في

الأحاديث وأمثله كثيرة.

¹ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1421 هـ 2000 م، ج 01، ص: 284.

² مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص: 285.

وكان أبو إسحاق المتكلم، من أصحاب الجاحظ يقول في الذي تذكر الأعراب من عزيف الجان وتغول الغيلان: "أصل هذا الأمر وابتدأه أن القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة، ومن انفراد وطال مقامه في الغلاة والخلاء والبعد من الإنس، استوحش، ولا سيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين والوحدة لا تقطع أيامهم إلا بالمنى والتفكير، والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة، وقد ابتلى بذلك غير حاسب وإذا استوحش الإنسان مثل له الشيء الصغير في هيأت الكبير وارتاب وتفرق ذهنه فيرى مالا يرى ويسمع ما لا يسمع، ثم جعل ما تصور لهم من ذلك شعرا تناشده، فالرواة عندهم كلما كان الأعرابي أكذب في شعره كان أظرف عندهم وصارت رواته أغلب ومضاحيك حديثه أكثر.¹

2-3- اختلاف الرواية أساس السرقة عند ابن سلام.

كانت الرواية الشعر وحفظه هي الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الشعر القديم والجاهلي بعنفه خاصة، وأن العرب لم تعرف تدوين الشعر إلا في وقت متأخر بالنسبة لظهوره فكانت صدور الرواة هي المرجع الأول والأخير لمعرفة من أنتج السابقون من شعر وأدب، وتتجلى لنا المكانة التي حظيت بها الرواية عند القدامى من خلال الإلحاح الشديد على ضرورة ممارسة الشاعر للرواية حتى يكتسب الشعرية، فالشاعر لا بد أن يروي لأحد الشعراء حتى يسمى شاعرا، ومن ثم عدت الرواية دعامة أساسية لقول الشعر، ومن هذا المنظور اقترنت الفحولة برواية الشعر القديم وهو ما أكدته الأصمعي في قوله: "لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي الأشعار العرب ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ"، وهو ما ذهب إليه ابن رشيق في قوله: "وقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين بفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار بمن فوّه من الشعراء فيقولون فلان شاعر رواية، يريدون أنه إذا كان رواية عرف المقاصد وسهل عليه مأخذ الكلام ولم يضق به المذهب وإذا كان مطبوعا لا علم له ولا رواية..."، ويعد ابن سلام من

¹ محمد صابر حمدان وآخرون، قضايا النقد القديم، ص 286.

النقاد الذين تفتنوا لمثل هذه القضية أثناء طرده للسرقات الشعرية وهو إن لم يتفرغ لها ببحث خاص إلا أنه أدرك أن اختلاف الرواية وعدم اتفاق الرواة في نسبة الأشعار لشاعر معين وإسنادها لأصولها، كل ذلك كان سببا في استفحال ظاهرة السرقات الشعرية وأورد لصحة رأيه أن بعض الرواة كانوا ينسبون أبياتا لأمية ابن أبي الصلت في حين ينسبها بعضهم للنابعة الجعدي وقد روي في طبقاته أن أبو صلت ابن ربيعة الثقفي قال:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبْنٍ ***** شَيْبَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدَ أَبَوَالَا

وقال النابعة الجعدي في كلمة فخر بها:

وَإِنْ يَكُنْ حَاجِبٌ مِمَّنْ فَخَرْتِ بِهِ ***** فَلَمْ يَكُنْ حَاجِبَ عَمَّا وَلَا خَالَا

هَلَا فَخَرْتِ بِيَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ***** ظَنَنْتَ هَوَازِنُ أَنْ الْعِرَاقَ قَدْ زَالَ

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبْنٍ ***** شَيْبَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدَ أَبَوَالَا

ترويه عامر للنابعة والرواة المجمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله.

ومن أهم الأسباب التي أدت اختلاف الرواية وتفشي ظاهرة السرقة في نظر ابن سلام:

2-3-1- الاعتماد على المشافهة: من أسباب هذا الاختلاف أن الشعراء في صدر الأول كانوا

يعتمدون على الرواية الشفوية -الحفظ- وكانوا لا يثنون في شعرهم كل لفظ بعينه بل ربما

أسند الرجل بعينه بل ربما أسند الرجل منهم أبياتا فتروى عنه ثم ثاني الأيام فتنسى بعض ألفاظها

فلا يكون إلا أن يضع غيرها ثم ينشد الأبيات على وجه آخر، فترى أيضا، ومن ثم تجتمع

الرواية في شعره، رواية الشعر عن طريق المشافهة كانت لا بد أن تفضي غلى وقوع الرواة في

الخطأ وإسناد الأبيات لغير قائلها، والأكثر من ذلك أنهم "وضعوا لفحول الشعراء قصائد لم

يقولوها ويزيدون في قصائدهم التي تعرف لهم ويدخلون من شعر الرجل في شعر غير، هوى

وتعتنا، كان ذلك كله نتيجة المشافهة التي غالبا ما يصحبها النسيان وهو ما وقع فيه جل الرواة

ولتصويب هذا الخطأ أخذوا يدخلون في أشعار الفحول أبيات لم يقولوها وضمنوها في

قصائدهم بحسب أهوائهم وبذلك أوجدوا مجالاً للطعن بالسرقة على بعض الشعراء مع أن اختلاف الرواية واضطرابها، وتحل الرواة هو السبب الأساسي لهذا الطعن.¹

2-3-2- الاتساع في الرواية: وهو سبب من أسباب الوضع يقصد به فحول الرواة أن يتسع

في روايتهم فيستأثروا بما لا يحسنوا غيرهم من أبوابها، ولذا يضعون على الفحول الشعراء قصائد لهم يقولونها ويزيدون في قصائدهم التي تعرف لهم ويدخلون من شعر الرجل في شعر غيره وتعتنا ورأس هذا الأمر حماد الرواية كان أول من جمع أشعاراً للعرب وساق أحاديثها فلا جرم أنه كان رأس الوضعين فقد كان يضع من الشعر ليقربه إلى بعض الأمراء زلفى، ولي سفي الرواة جميعاً من يداي حمادا وخلفاء في الصنعة وإحكام فهما طبقة في التاريخ كله، وإنما يكون لغيرهما البيت الواحد والأبيات القليلة مما لا تفتضح صنعته.

وأخذ القصاص أيضاً في هذه الناحية فصنعوا الأخبار الكثيرة وأسندوها إلى علماء الأنساب والخباريين ليعطوها بذلك معنى التاريخ الذي تثبته الرواية.²

2-3-3- وضع الشعر: والشعر هو عمود الرواية عليه مدارها وبه اعتبارها، وقد كانت منزلة

من العرب ما هي إذ كان يتعلق بأنسابهم وأحسابهم وتاريخهم وما يجري مع ذلك، وقد كان عند قدماء اليونان لبعض الأسباب المعنوية التي تشابه فيها هم والعرب الرواة ليتفرغون لنقل الشعر فيقومون في الناس على إنشاده ويرون قطعاً من التواريخ ومن أشهرهم في القديم رواة الإلياذة لهوميروس وعلى أن الفرق بين العرب واليونان في ذلك كالفرق بين الأمة كلها شعراء بالفطرة وأمة تميز الفطرة منها بعض الشعراء.³

ولم يكن من سبب في جاهلية العرب على وضع الشعر ونحله غير قائله وإرساله في الرواية على هذا الوجه لأن شعرائهم متوافرون لأنهم لات يطلبون بالشعر إلا المحامد والمعاير، وأول القبائل التي

¹ أمزيان سهام، تطور المصطلح النقدي دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام (كتاب الموازنة أنموذجاً).

² مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص: 287.

³ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص: 278.

وضعت الشعر في الإسلام قریش وكانت أقل العرب شعرا وشعراء، فقد وضعوا على حسان بن ثابت أشعارا كثيرة لا تليق به ولا تجوز عنه.

ولما كانت الرواية العلمية في القرن الثاني وشمر الرواة في طلب الشعر للشاهد والمثل استفاض الوضع في العرب وتفرق القوم لذلك كمحمد بن عبد الملك الفقعسي راوية بني أسد الذي وضع للرواة أشعارا كثيرة أدخلها في روايته عن قومه، وغن أشد ما كان يعضل بالرواة يومئذ أن يقول الرجل من ولد الشعراء في العرب عن لسان أبيه تكتيرا لشعره فإن هذا كان مما يشكل عليهم لأنهم لا يميزون أكثر الشعراء إلا بالنسبة وهي محمل الصدق والكذب، كان القوم إذا تعلقوا برجل من ولد الشعراء وألحوا عليه في السماع ورغبوا في شعر أبيه دونه.¹

2-3-4- شعر الشواهد: وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء إلى شواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو، واشترط ذلك علماء المصريين (البصرة والكوفة) بعد أن قانت المناظرات بينهم في فروع النحو والمساءلة.

وشعر الشواهد في اصطلاح الرواة على ضربين: شواهد القرآن وشواهد النحو، أما الأولى فكثيرة ولا يبالي رواة في هذه الشواهد إلا باللفظ فيستشهدون بكثير من كلام سفهاء العرب ولا يأنفون أن يعدوا من ذلك أشعارهم التي فيها ذكر الغنى والفحش، لأنهم يريدون منها الألفاظ وهي حروف ظاهرة.²

وأما شواهد النحو فأوسع الناس حفظا لها ومنه خلف الأحمر، وقد ظلت شواهد النحو واللغة بعد ذهاب الرواة وعفاء مجالسهم حتى صارت تشبه الآثار التاريخية في الظن والحرص عليها وتداولها كما هي لأن قيمتها في نفس الحالة التي هي عليها.

¹ المرجع نفسه، ص: 279.

² مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص: 280.

وسبب ذلك من تناقل الكتب بالرواية والاقتصار على ما فيها من مبالغة في تحقيق الإنسان العلمي ومن اشتهر في حفظ تلك الشواهد هو ابن مالك النحوي الشهير صاحب الألفية.

4- الانتحال عند المستشرقين.

كان نولد له سنة 1864 من أوائل المستشرقين الذي تعرضوا لمساءلة الانتحال في الشعر الجاهلي وتلاه الورد حين نشر دواوين الشعراء الستة الجاهليين: امرؤ القيس، والنابعة وزهير وطرفة وعلقمة وعنترة، فتشكك في صحة الشعر الجاهلي عامة منتهاها إلى أن عددا قليلا من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته مع ملاحظة أن شك لا يزال يلزم هذه القصائد الصحيحة في ترتيب أبياتها وألفظ كل منها.¹

إلا أن مرجليوث يعد أكبر من أثاروا هذه القضية في كتاباته، إذ كتب فيها مقال مفضلا نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو سنة 1925 جعل عنوانه أصول الشعر العربي، ومن أبرز ما أثار مرجليوث في مقاله المذكور من زعم قوله: لو أن الشعر صحيح يمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب.²

ولقد بنى رأيه هذا على ضربين لرئيسيين من الأدلة: أدلة خارجية، وأدلة داخلية وسنذكرها بصورة موجزة:

4-1- الأدلة الخارجية: بدأ مرجليوث مقالته بالحديث عن وجود الشعر الجاهلي في الجاهلية

فقال: إن وجود شعراء في بلاد العرب قبل الإسلام أمر شهد به من القرآن، إذ أن فيه سورة واحد باسمهم ثم يشير إليهم من حين إلى آخر في مواطن أخرى، من بين الأوصاف التي كان الخصوم ينعونهم فيها أنه كان شاعرا مجنونا، وكان النبي يبعد عن نفسه هذه الصفة ويجيبهم بأنه

¹ شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط 08، دت، ص: 166.

² ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص: 352.

إنما جاء بالحق، ووردت في سورة أخرى ثلاثة ألفاظ هي: كاهن، ومجنون، وشاعر، ويزعم مرجليوث أن سياق الآية يدل على أن هذه الألفاظ الثلاثة في معنى واحد "مترادفة" وقال مرجليوث بأن الذين وصفوه بأنه شاعر فإنهم سيتربصون ليروا ما سيحدث له وهو يرى أن يستنتج من ذلك أن من عادة الشعراء التنبؤ بالغيب وقد أشار غلى أن القرآن قد ذكر أن لغته ليست لغة شعر ولكنها لغة رسول كريم صلى الله عليه وسلم، وأن الله لم يعلم النبي الشعر لأنه لا طائلة له من ورائه ويلخص مرجليوث هذا الحديث إلى أنه ربما كان ما يتيح لنا الشواهد القرآنية قوله هو أنه كان قبل الإسلام بعض الكهان من العرب كانوا يعرفون باسم الشعراء، وبعد أن ينتهي مرجليوث من حديثه عن الشعر والشعراء كما استنتجه من آيات القرآن الكريم يبدأ في عرض آراء المسلمين القدماء ويسميهم فيثير مشكله ابتداء الشعر العربي ونشأته ويقرر أنها أمر في غاية الغموض، إذ أن القدامى قد ذهبوا فيها مذاهب متباينة، بينما أورد آخرون قصائد غنائية عربية¹ ثم يختتم حديثه وهو يتكلم عن شكه في صحته ويفترض أن هناك طريقتين لا ثلاثة لهما الكتابة أو الرواية الشفوية، حيث يقول: "لو فرضنا أن هذا الشعر الحقيقي، فكيف حفظ؟ لا بد أنه حفظ إما بالرواية الشفوية وإما بالكتابة".²

وأما الكتابة فلم تكن وسيلة ممكنة في نقل الشعر وهذا ما يؤكد علماء العربية القدامى والمعاصرون، وأما الرواية الشفوية التي يؤكدونها العديد من القدامى والمعاصرون فإن "مرجليوث" يثير حولها شكوكا، ويبني شكه على أساس ثلاثة أسباب:

أ-الأول: إذا كانت قصائد عدة ذات أبيات كثيرة قد حفظت بالرواية الشفوية فلا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا وجد أفراد عملهم أن يحفظوها في ذاكرتهم ونقلوها إلى غيرهم، وليس لدينا ما يدعونا إلى الظن بأن حرفه مثل هذه وجدت أو أنها بعثت خلال العقود الأولى من الإسلام.

¹ ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص: 353 - 354.

² حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، مجلة إشكالات، المجلد 07، العدد 02، جامعة عباس لعزوز خنشلة، قسم اللغة والأدب العربي، 2018، ص: 173.

ب- الثاني: ما يذهب إليه المسلمون من أن " الإسلام يجب ما قبله"، وما ورد في القرآن من "أن إتباع العراء هم الغاؤون، فحديث القرآن عنهم فيه قسوة عليهم واحتقار لهم فثمن إذن بسبب قوي يدعوا إلى نسيان الشعر الجاهلي إذا كان ثمة شعر جاهلي حقيقة!"

ت- الثالث: والثالث مرتبط بالثاني وهو أن الأعمال التي تخلدها إذ هذه القصائد كانت انتصارات القبائل بعضها على بعض والإسلام الذي كان يرمي إلى توحيد العرب ونجح نجاحا كبيرا في تحقيق تلك الوحدة، كان يحث على نسيان تلك الحوادث والقصائد التي من هذا الضرب تثير النفوس وتهيج الدماء.¹

ويؤسس مرجليوث شكه من ناحية أخرى على أساس المماثلة بين لغتي القرآن الكريم والشعر الجاهلي، متخذاً من هذا التماثل دليلاً على ما وصلنا من الشعر الجاهلي، إنما هو وليد مرحلة لاحقة لظهور الإسلام فيقول: "وكما أن وجود الأفكار الإسلامية في الآثار المقطوع بجاهليتها دليل على وضعها المزيف، فإن استخدام لهجة جعلها القرآن لغة فصحي أمر يدعونا إلى أن نشك فيها طويلاً... ويدعوا أن المسلمون الذين جمعوا القصائد من جميع أنحاء شبه الجزيرة بلغة واحدة، كان عملهم هذا متماشياً مع عملهم في جعل كثير من الشعراء بل أكثرهم يعبدوا الله ولا يشركوا به، إنهم يسحبون على الماضي ظواهر هم أنفسهم يعرفونها..."

يضاف إلى هذا أن "مرجليوث" يلمح إلى الألفاظ الإسلامية التي تشيع في الشعر الجاهلي، وبالأخص الألفاظ الإسلامية في شعر عنتره فيقول: "وواضح أن عنتره العبسي كان يعرف وحي القرآن ومصطلحات الإسلام" وذلك لأنه استخدم ألفاظ "قبلة القصاد" و"الركوع والسجود" و"حجر المقام" و"الجحيم" و"المحشر" وغيرها، ولذلك قال عنه أنه "لا داعي للشك في أنه كان مسلماً تقياً صالحاً، غير أن حياته انتهت قبل الإسلام"

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، ص: 174.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن لفظه الدنيا فيقرر أن القرآن أول من استعمل لفظه الدنيا للدلالة على الحياة وهذا العلم، ثم يقول: "غير أن الشعراء الجاهلين كانوا على معرفة تامة بهذا التعبير"¹

أما عن الشك في الرواية الشفوية فقد سبق لنا تناولها، وأكدنا أن الشعر الجاهلي والصحيح منه بخاصة، قد وصلنا بها وقد أحاط بهذه الطريقة رواة ثقة وعلماء مثقفون ومما لا شك فيه أن هنا نصوص شعرية وفيرة من الشعر الجاهلي تعبر عن المرحلة الجاهلية وتدل على أصحابها، ومعرفة عن الواقع الاجتماعي في إطار سياقه التاريخي.

5- الانتحال عند العرب المحدثين.

لقد كان أول من بحث في هذا الموضوع مصطفى صادق الرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب الذي صدر في سنة 1911 م، وقد لخص آراء في هذه القضية الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي، فنحن نلخص ما كتبه الدكتور ناصر الدين الأسد حول بواعث وضع الشعر عند مصطفى صادق الرافعي كما يلي:

5-1- تكثر القبائل لتحتاض مما فقدته بعد أن راجعت الرواية وخاصة التي قلت وقائعها وأشعارها وكانت أولها قبيلة قريش.

5-2- شعر الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو خاصة عند الكوفيين.

5-3- الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين يولدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم.

5-4- الشواهد على الأخبار لأنه لما كثر القصاصون وأهل الأخبار اضطروا أن ينحلوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير.

5-5- الاتساع في الرواية وكان الرواة يتسعون في روايتهم بسبب السباق بينهم، فكانوا يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها ويزيدون في قصائدهم.

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، ص: 175.

وهكذا نرى أن الرافعي فقد دار مع القدماء من العرب وروى ما قاله القدماء وتابع ابن سلام في آرائه دون غلو أو شطط ولم يجعل من الخبر الواحد قاعدة عامة، ولا من الحالات نظرية شاملة.¹

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، ص: 176.

الفصل الثاني: ظاهرة الانتحال عند طه حسين.

1- الانتحال عند طه حسين.

1-1- نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي عند طه حسين.

1-2- أصول منهج طه حسين في قضية الانتحال.

1-3- أسباب نحل الشعر.

2- دوافع الشك وأهم الأدلة عند طه حسين.

2-1- دوافع شك طه حسين عن نظريته.

2-2- أهم الأدلة لطله حسين عن نظريته.

2-3- المقارنة بين ابن سلام وطه حسين.

1- الانتحال عند طه حسين.

1-1- نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي عند طه حسين:

يرى الدكتور طه حسين أن الكثرة المطلقة مما يسمى أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، إنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام فهي تمثل حياة المسلمين أكثر مما تمثل الحياة الجاهلية وما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا، لا يمثل شيئا، ولا يدل على شيء فالعصر الجاهلي القريب من الإسلام إنما يمثل القرآن وتمثله الأساطير وعلى هذا فلا يصح للاستشهاد بهذا الشعر المنحول في تفسير القرآن، بل يجب العكس... والشعر الذي يضاف إليه الجاهلون يمثل حياة غامضة، جافة بعيدة عن الدين والقرآن يمثل لنا حياة دنيته وعقلية قوية مما كان عليه المستبشرون من العرب، ويمثل لنا القرآن الكريم أيضا اتصال العرب بغيرهم من الأمم المجاورة كما يصور حياة العرب الاقتصادية، من حيث يخلوا الشعر الجاهلي من ذلك كله والأدب الجاهلي أيضا لا يمثل اللغة الجاهلية لاختلاف اللغة الحميرية عن اللغة العدنانية مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها، ولم يتخذوا لغة أدبية لهم قبل الإسلام كما حدث بعد الإسلام مما يدل على انتحال هذا الشعر وسواه من فنون الأدب على هؤلاء القحطانيين، كما أن اختلاف اللهجات العدنانية أمر ثابت لا شك فيه ولا نجد أثرا لهذا الاختلاف في الشعر الجاهلي المأثور، مما يدل على انتحال هذا الشعر وأنه قد حمل حملا على هذه القبائل بعد الإسلام.¹

ثم يحمل للدكتور طه حسين في كتابه أسباب انتحال الشعر الجاهلي، فيذكر البواعث الدينية والسياسية وأثر القصص والشعبية والرواية في هذا الانتحال ثم يستعرض الشعراء مؤكدا ما ذهب إليه من أن أكثر ما يضاف إلى هؤلاء الشعراء الجاهليين منحولا رافضا الشعر المنسوب إلى شعراء من اليمن، لأن لليمن لغة تخالف لغة قريش ويقول: "إن هجرة اليمنيين إلى الشمال مشكوكا فيها أولا"، وليس كل الشعراء هاجروا من اليمن، ثانيا فالشعر الذي يضاف "إلى جرهم" وسواهم من

¹ طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ص: 56 - 208.

الذين عاصروا إسماعيل، منحول وليس لليمن في الجاهلية شعراء أمازيغية وهي من عدنان، وتسكن في الشمال، فشعرها دون شعر المضرين، وأما مضر فكان لها شعراء يتخذون الشعر فناً، فالشعر أصل في مضربون اليمن أو ربيعة فنظرية تنقل إلى أقرب القبائل غير صحيحة فالشعر إنما كان في مضره ثم انتقل إلى أقرب القبائل العربية، وهم ربيعة ثم إلى القبائل البعيدة مثل اليمن، ثم إلى الموالي وليس كما يقول علماء العربية من أن الشعر كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم إلى قيس من مضر، ثم إلى تميم وشعراء المدينة ليسوا مدنيين بل هم مضربون.¹ إن جملة آراء الدكتور طه حسين تركز على أساس واحد هو انتحال الشعر الجاهلي وتؤكد هنا الانتحال بأدلة كثيرة أهمها:

1-1-1- أن هذا الشعر المنسوب للجاهليين لا يمثل الحياة الجاهلية؛

1-1-2- هذا الشعر لا يمثل اللغة نفسها، ولا اللهجات العربية.

هذه هي نظرية الدكتور طه في انتحال الشعر الجاهلي، وهي نظرية كان لها ذويها الشديد، وكان لها كذلك طابع الثروة العقلية التي استمد الدكتور أصولها من دراسته في فرنسا، وعلى أيدي الكثير من المستشرقين وقد اعتمد على ما تعتمد عليه مثل هذه الثورة من أدلة خطائيه كثيرة.

لقد اهتم طه حسين بمسألة الانتحال بعد الرافي عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، فألف كتابه "في الشعر الجاهلي" سنة 1926 م الذي أثار ضجة كبرى لما فيه من آراء جريئة يتعرض بعضها للتشكيك في صحة الشعر الجاهلي وبعضها الآخر للدين الإسلامي وقد لاقى هذا الكتاب معارضة شديدة وردودا كثيرة أدت في مجملها إلى نقض تلك الأفكار والآراء، الأمر الذي جعل "طه حسين" يصدر طبعته الجديدة منقحة ومعدلة سنة 1927 م، بعنوان جديد "في الأدب الجاهلي" وتراجع فيه الكثير مما ورد في الطبعة السابقة حيث زاد وحذف، وأسقط بعض الروايات وأثبت بعضها، وصحح، وعدل، ووسعه، وضيّق وقد أخذ طه حسين أكثر مادته من روايات ابن

¹ طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ص: 122-186.

سلام واستنتاجات وآراء أستاذه "مرجليوث" وتوسع فيها حتى وصل إلى أن قال: "إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأكاد أن لا أشك في أن ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا ولا يدل على شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي".¹

وقد قسم طه حسين بحثه إلى ثلاثة أقسام الدوافع والأسباب التي تدفع الباحث في الشك في الشعر الجاهلي، وأسباب الوضع والانتحال في الشعر الجاهلي ثم درس فريقا من الشعراء وشك في نسبة الشعر إليهم، ومن أمثلة ذلك شكه في شعر امرئ القيس لأسباب:

- أولها تضارب الرواة في اسمه وكنيته وحياته، وثانيهما أن قسما من شعره يدور حول قضية حياته يفسرها ويؤيدها وهو يرى أن هذا القسم موضوع نحل ليفسر هذه القصة وثالثهما أن القسم الآخر من شعره المستقل عن الأهواء السياسية والحزينة موضوع منحول كذلك لأن الضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بَيِّن، والتكلف والإسراف فيه يكاد أن يلمس باليد؛²
- وهو يشك في علقمة لقله ما يعرفه العلماء من أخباره "فلا يكاد الرواة يذكرون عنه شيئا إلا مفاخرته لأمرئ القيس، ومدحه ملكا من ملوك غسان،..." وأنه كان يتردد على قريش ويناشدها شعره وإلا أنه مات بعد ظهور الإسلام أي في عصر متأخر جدا بالقياس إلى امرئ القيس؛
- وهو يشك في مهلهل للأسباب التالية: غموض شخصيته، واضطراب شعره واختلاطه، واستقامة وزن شعره، واطراد قافيته، وملاءمته قواعد النحو، ومع أنه أقدم شعر قالت العرب، وسهولة لفظه ولينه واسفاهه؛

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، ص: 176.

² المرجع نفسه، ص: 177.

• ويشك في عمرو بن كلثوم لثلاثة أسباب:

✓ كثرة الأساطير في حياته؛

✓ ورقة لفظ شعره وسهولته وقرب فهمه؛

✓ اضطراب أبيات قصيدته "المعلقة" وتكرار بعضها.¹

1-2- أصول منهج طه حسين في قضية الانتحال:

قد لا نجد من بين أدباء العربية في العصر الحديث من يفوق الدكتور طه حسين براعة في تحسين هيئة الكلام، وتهذيب لغة الخطاب، ولا سيما فيما يطول القارئ من أقواله لأنه أعظم من أشركه في النص، فتراه دوماً يحاوره ويبالغ في محاورته ثم يستعطفه ويثخن في استعطافه ويقاسمه الرأي ليستميله لا بل ليستولي على فؤاده من أجل ذلك ترى عنده المتلقي حاضراً مثل حضور المنشئ ولكن أسلوب طه حسين هذا، لم يكن خيراً له، لأنه لم يجوده حبا بتجويد الأسلوب المهذب رأياً بلا إثارة أو فكرة دون ضجيج لهذا تجد معظم كلامه على الأدب إلا أنه لم ينطق على معان تشع منها ألواناً جديدة ذلك أن أفكاره التي صدر لها رنين هائل تكاد تكون معروفة أو هي معروفة حقاً عند متقدميه من الأدباء وقد يكون كتابه "في الشعر الجاهلي" مثلاً دالاً على ما نقول ففيه من الثراء اللفظي والتجويد الكلامي ما يجوز به حد الامتناع إلى ما يشبه السحر الذي يحول بين المرء وعقله، لقد أثار طه حسين في كتابه هذا قضيتين ضخمتين: الشك في قيمة الشعر الجاهلي وتطبيق المنهج العلمي على دراسة الأدب العربي، ففي معرض معالجته مسألة الشك قال: "وأول شيء أفاجئك به في هذا الحديث أنني شككت في قيمة الشعر الجاهلي، وألححت في الشك، أو قد ألح علي الشك فأخذت أبحث وأفكر وأقرأ وأتدبر حتى انتهى بي هذا كله إلى شيء أن لم يكن يقينا فهو قريب من اليقين.

ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وإنما هي منتحلة بعد

ظهور الإسلام.¹

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، ص: 178.

وإذا ما هو وضعنا كلام ابن سلام (231 هـ) الآتي عن الموضوع والانتحال، "فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت²، بإزاء كلام طه حسين لم نجد لشكّه حسن معنى مسوق إلى ذلك إلا من جهة رفضه شعر العرب في جاهليتها رفضاً مطلقاً إذ المتقدمون قيدوا كلامهم على الانتحال بأمثلة محددة يقول الجاحظ: "وقد رأيت عند داود بن محمد الهاشمي كتاباً في الحياة، أكثر من عشرة أجلاد ما يصح منها مقدار جلد ونصف، ولقد ولدوا على لسان خلف الأحمر والأصمعي أرجازاً كثيرة فما ظنك بتوليدهم على السنة القدماء"³.

وأما معالجته قضية المنهج العلمي في دراسة الشعر العربي فيصور في قوله: "أريد أن أقول أي سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة، أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكرت للبحث عن حقائق الأشياء"⁴.

وحق في هذه المسألة كان طه حسين عالماً على السابقين إذ سبقه الجاحظ (ت 255 هـ) إلى أسلوب الشك في قوله: "ولا يعجبني الإقرار بهذا الخبر، وكذلك لا يعجبني الإنكار له، وليكن قلبك إلى إنكاره أميل، وبعد هذا فأعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة له..."⁵.

وسبقه الجاحظ أيضاً إلى تطبيق المنهج العلمي، ففي كتابه "الحيوان" تناول مباحث الطبيعة والأحياء وأجرى بنفسه التجارب، فقد لاحظ أن النمل تأخذ من الحب الذي تدخره للشتاء جزء النباتات والتناسل لئلا يفسد وكذب ما زعمته العامة أن الأفاعي تكره ريح السنداب والشيخ

¹ طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 07.

² ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكر، دار الكتب، ص: 87.

³ الجاحظ، الحيوان، ت: عبد السلام هارون، ص: 04 - 140.

⁴ طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 08.

⁵ الجاحظ، الحيوان، ص: 04 - 181.

وتستريح إلى نبات الحرمل، فجرب ذلك فلم يجد دليلا على ما قالوه، وكذلك نفي ما كان شائعا عند الناس في عصره لأن الجمل إذ نجر ومات، فالتمس خصيته وشقيقته لا توجبان.¹

وفي مجال العشر حلل من مضامينه بحياد وموضوعية، مع أن كتابه كتاب أدب وثقافة إلا أنه انتهج فيه أسلوبا علميا عماده الشك الموصول إلى اليقين.

إن طه حسين مسبوق إلى الشك ومسبوق إلى درس الأدب بموضوعية وحياد علمي فما المثير إذن في كتابه الأنف؟

الحق أن الجديد الذي انطوى عليه الكتاب "في الشعر الجاهلي" تقليده ديكارت ليس في أسلوبه العلمي أو الفلسفي. وإنما في هجومه على كل ما هو راسخ في ضمير الإنسان من مقدسات أو ما هو أثير في قراره وجدانه من مثل، كالدين والقومية، يقول دالا على ذلك: يحيا حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وننسى ديننا وكل ما يتصل بل يجب أن لا نتقيد بشيء وأن لا تدعه شيء إلا لمنهج البحث، ويحسب المرء أن لكلامه هنا ظاهرا يتمثل بانحيازه إلى الحياد والموضوعية ولا شيء غير ذلك والحق أن لكلامه ظاهرا أو باطنا إنما هو النطل من مشخصات العقيدة والانتماء فهذا هو موطن الإثارة في كلامه على الشعر الجاهلي لا بل هذا الذي أثار عليه الناس، لأن مجرد الدعوة إلى الشك أو تطبيق المنهج العلمي لا يوغر الصدور مثلما توغرها الاستهانة بمقدسات الأمة، ومثلما يوغرها البعث بشخصيتها فالدعوة إلى التجديد وإن لقيت من يعارضها في البدء إلا أن النفوس من سرعان ما يألفها، لأن ذلك من دواعي التطور أو هو جزء من منطق الحياة، وطه حسين أراد أن يكون مجددا بمخالفته سنن التجديد ومخالفته سنن التطور، لهذا جردت أقلام كبيرة للرد عليه وكان قد أحس بعض أصحابها بالظفر يوم ذاك لما بدل كتابه "في الشعر الجاهلي" بكتابه "في الأدب الجاهلي" لكنه في الواقع لم يتراجع عما أذاعه في السابق وكل ما هناك أنه عمد في كتابه الجديد في إثارة من نوع آخر، إنما إثارة العناوين مثل العنوان الذي وضعه بين يدي كتابه الجديد وقد سماه "الحرية والأدب"، فبدأه

¹ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص 108 - 03.

بقوله "أنا أحب ألا تسخر ولا تسأم، فلن أحدثك عن حرية الرأي كما تعود أصحاب القانون والدستور والصحف أن يحدثوك عنها... وإنما أريد أن أحدثك عن هذه الحرية التي يطمع فيها كل علم ناشئ ليستطيع أن يقوى وينمو ويأخذ بحظه من الحياة".

ومؤدى هذه الحرية هو الدعوة على التحلل من المقدسات بعد أن وجد اللغة والأدب مقدسين مبتدلين يقول: "اللغة والأدب مقدسة مبتدلة، ومن حيث هي مقدسة لا تستطيع أن تخضع للبحث العلمي الصحيح، قد يستلزم النقد والتكذيب والإنكار والشك وما رأيك في الذي يعرض الأشياء المقدسة لمثل هذه الأمور! وهي من حيث مبتدلة لا تستطيع أن تخضع للبحث العلمي، ومن ذا الذي يعنى بالأدب واللغة وعلومهما وهي وسائل؟ أليس خيرا من ذلك أن يعنى بالغايات".¹

إن وجه القداسة للغة عند طه حسين يبرز عندما تكون اللغة أداة لعلم الفقه وعلوم الدين عامة، ووجه القداسة للأدب يظهر عندما يحمل قبسا من تعاليم الدين وخلقيات الوجدان، أما وجه الابتدال فيهما فيد ولطه حسين عندما تدرس اللغة أو تدرس الأدب بوصفهما وسائل لهذه العلوم، لا يوصفهما غايات، لهذا دعا إلى التحلل من المقدسات هنا أيضا، حتى تصبح عند اللغة والآداب مادتين لمنهج العلمي، يقول: "أظن أنك استطعت أن توافقني على أن الحرية بهذا المعنى شرط أساسي لنشأة التاريخ الأدبي في لغتنا العربية، فأنا أريد دراسة تاريخ الآداب في حرية وشرف كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات، لا أخشى في هذا الدرس أي سلطان.

وبالتالي نستنتج أن الذي تقدم لدعوة طه حسين إلى منهج الشك في درس الأدب الذي ترددت في كتابيه ليست أصيلة في بابها لأنه مستوى إلى ذلك سبقه ابن سلام إلى ملاحظة وجوه الوضع والانتحال في الشعر الجاهلي، ثم سبقه الجاحظ إلى ترجيح الشك وإيثار النهج العلمي في البحث الأدبي.²

1-3- أسباب نحل الشعر:

¹ طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ص: 55 - 56.

² طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ص: 57 - 58.

قد أحصى الدكتور طه حسين أسبابا لنحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين والحقيقة أن هذه الأسباب تمثله بأطراف الحياة العربية كلها آنذاك وتمثلت هذه الأخيرة فيما يلي: "السياسة، الدين، القصص، الشعوبية، الرواة":

1-3-1- السياسة ونحل الشعر:

يرى الدكتور طه حسين أن فهم التاريخ الإسلامي على اختلاف فروعه وهي بإدراك مدى تأثير الدين والسياسة على حياتهم في القرنين الأول والثاني والمقصود بالسياسة في هذا السياق العصبية الفاعلة في جوانب الحياة العربية وآثارها خلال الزمان والمكان، فثمة عصبية دينية أولا سياسية بعد ذلك في حزب المسلمين الأول من حول النبي في مكة وسائل الكفار الذين جادلوه أولا ثم حاربوه ثانيا ومنذ أن هاجر النبي إلى المدينة تكونت للإسلام وحدة سياسية لها قوتها المادية وبأسها الشديد وأحست قريش أن الأمر قد تجاوز الأوثان والآراء الموثوقة والسنن القديمة إلى شيء آخر كان فيما يظهر أعظم خطرا في نفوس قريش من الدين وما يتصل به وهو السيادة السياسية في الحجاز والطرق التجارية بين مكة¹. والبلاد التي كانت ترحل إليها بتجارتهما في الشتاء والصيف فليس من الشك إذن في أن الجهاد ديني النبي وقريش قد كان دينيا خاصا أقام النبي في مكة فلما انتقل إلى المدينة أصبح هذا الجهاد دينيا خالصا أقام النبي في مكة فلما انتقل إلى المدينة أصبح هذا الجهاد دينيا وسياسيا واقتصاديا ويترتب على هذا نشأة عداوة بين مكة والمدينة اصطبغت بالدم في بدر واحد.² فقد حصر طه حسين مدلول السياسة في العصبية القبلية، وقد مثلها بمثلين:

1-3-1-1- الأولى:

العصبية بين المهاجرين والأنصار ويثبت وجودهما بروايتين:

¹صلاح رزق، الشعر الجاهلي السياق والملاحم وأهم القضايا أبرز الإعلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص: 135.

² المرجع نفسه، ص: 136.

أ- ما يرى من أن عمر قد حال أيام الخلافة بين قريش والأنصار وبين الفتنة بخرمه، فالرواية يحدثوننا أن عمر نهى عن رواية الشعر الذي تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبي صلى الله عليه وسلم؛

ب- ما ذكر من أن ابن سلام: "قد نظرت قريش فإذا خطها من الشعر قليل في الجاهلية فاستكثرت منه في الإسلام، وعقب عليه الدكتور طه حسين بقوله: "وليس من شك عندي في أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجي به الأنصار".

1-3-1-2- الثاني:

ففي هذه الأشعار التي تمس تنقل امرئ القيس في قبائل العرب فإنها نحتت حيث تنافست القبائل العربية في الإسلام وحين أرادت كل قبيلة أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن.¹

1-3-2- الدين ونحل الشعر:

لقد كان الدين دافعا إلى نحل الشعر من جوانب عدة كما يرى الدكتور طه حسين:

1-3-2-1- الرغبة في إثبات صحة النبوة وصدق النبي لدى عامة الناس وأنت تستطيع أن

تحمل على هذا كله ما يروي من هذا الشعر الذي قيل في الجاهلية ممهدا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وكل ما يتصل بها من الأخبار والأساطير التي تروي لتقنع العامة أن علماء العرب وكهانهم أحبار اليهود ورهبان النصارى كانوا ينظرون بعثة بني عربي يخرج من قريش أو مكة.²

1-3-2-2- اختراع القصص والأساطير وما يتصل بها من الشعر الذي يثبت أن المخلصين

والأحبار كانوا يعرفون أمر النبي ويتوقعون بعثته ويدعون الناس على الإيمان به قبل أن يظل

¹ صلاح رزق، الشعر الجاهلي السياق والملاح وأهم القضايا أبرز الإعلام، ص: 135.

² المرجع نفسه، ص: 136.

الناس زمانه، وذلك اعتمادا على أن القرآن ذكر أن اليهود والنصارى يجدون النبي عندهم مكتوبا في التوراة والإنجيل؛¹

1-3-2-3-1 - للرجبة في تعظيم شأن النبي صلى الله عليه وسلم من ناحية أسرية ونسبة في قريش ويطرد الأمر في نظر الدكتور طه حسين فلان خلافة بني أمية وبني مروان وبني العباس لتآزر السياسة مع الدين في نحل الشعر الذي يشمل البطون القريشية على اختلافهما فتدخل الأخبار والأشعار وتحرض القصص وغير القصص على ذلك؛

1-3-2-4 - رغبة القصص في ما يجدونه مكتوبا في القرآن الكريم من أخبار الأمم البائدة كعاد وشمود ومن أليهم، فالرواة يضيفون إليهم شعرا كثيرا وقد كفانا ابن سلام نقده وتحليله حين جد في طبقات الشعراء في إثبات أن هذا الشعر وما يشبهه مما يضاف إلى تبع وحمير موضوع منتحل، وضعه ابن إسحاق وما إليه من أصحاب القصص.

1-3-2-5 - رغبة العلماء مع نهضة الحياة العلمية في إثبات عربية كل لفظة من ألفاظ القرآن، وسيلهم إلى ذلك استشهاد بالشعر العربي الذين نحلوه وأضافوه على القدماء إثباتا لأصالة تلك الألفاظ وقدم شيوعها في اللغة العربية.²

1-3-3-1 - القصص ونحل الشعر:

سبق الرافي "طه حسين" إلى الإشارة على دور القصص في نحل الشعر ولكن الدكتور طه حسين يتوسع في المسألة ويتمثل لها إطار أو خطة محكمة في مختلف الظروف وعبر توالي الأجيال والقصص عند الدكتور "طه حسين" وثيقة الصلة بالدين والسياسة وإن لم تكن منها على نحو مباشر، والقصص يستمد قوته وثروته في نظره من مصادر مختلفة عربية ويهودية ونصرانية وفارسية ومختلطة، ولا قيمة لهذا القصص ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزينه الشعر من حين إلى حين لذا

¹ مراد معروف، الرؤية النقدية عند طه حسين كتاب في الشعر الجاهلي، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، تخصص نقد حديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية الآداب واللغات، 2017، ص: 59 - 60.

² المرجع نفسه، ص: 61 - 62.

لم يستغن عنه فكان، كل موقف قيم أو ذوي خطر من مواقف هذا القصص لا يستقيم لكتابته وسامعه إلا إذا أضيف إليه قدر من الشعر قليل أو الكثير يكون عمادا له ودعامة وإذن فقد كان القصص أيام بني أمية وبين العباس في حاجة إلى مقادير لا حد لها من الشعر يزينون بها قصصهم ويدعمون بها مواقفهم المختلفة فيه، وهم قد وجدوا من هذا الشعر ما كانوا يشتهون وفوق ما كانوا يشتهون وفوق ما كانوا يشتهون وعملية نحل الشعر ومزجه بالقصص عملية منظمة إلى حد كبير، من وجهة نظره فهو لا يكاد يشك في أن هؤلاء القصص لم يكونوا يستقلون بقصصهم ولا بما يحتاجون إليه من الشعر في هذا القصص، وإنما كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها وآخريين ينظمون لهم القصائد وينسقونها إنها على حد تعبيره "مصانع شعرية" والأمصار المختلفة.¹

هذا الشعر يتعلق بعض بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم حاجته بدر وأحد وغيرهما من المواقف والمواقع وبعضه يضاف على حفرة وحسان وكعب بن مالك.²

1-3-4- الشعوبية ونحل الشعر:

لم يقصد العميد بالشعوبية غير ذلك الفريق من سبي الفرس الذي استعرب واستوطن الأقطار العربية التي كانت خالصة لها كل العرب، أما نحن فنعتقد أن هؤلاء الشعوبية قد نحلوا أخبارا وأشعارا وأضافوها على الجاهليين والإسلاميين. ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظرهم إلى النحل والإسراف فيه، إذن جل الأمر مبني على الاعتقاد الذي يحمل في الغالب بين طياته الظن وربما الشك وعدم اليقين في هذه الأمور، وإذا سلمنا بعضا من الشعوبيين كانت تنحل من الأشعار والأخبار ما يسيء إلى الجاهليين،³ ولم يكونوا مخلصين للعرب مطلقا لكنهم كانوا يستغلون هذه الخصوصية السياسية بين الأحزاب ليعيشوا من جهة،

¹ صلاح رزق، الشعر الجاهلي السياق والملاحم أهم القضايا أبرز الإعلام، ص: 140.

² طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 106.

³ يحيى ولي فتاح حيدر، نظرية الشك بين استشراقية مرجليوث واستغرابية طه حسين، العدد 106، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 1435هـ 2014م، ص: 179 - 180.

وليخرجوا من حياة الرق أو حياة الولاء إلى حياة تشبه حياة الأحرار والسادة من جهة أخرى، ثم ليشفوا ما في صدورهم من غل وينفسوا عن أنفسهم ما كانوا يضمرون من ضغينة للعرب من جهة ثالثة وبعد أن يضرب المثل لبعض منهم يفيد بأن النتيجة لهذا كله كانت أن استباح هؤلاء وكما أن حصلت الشعوبية على انتحال الأخبار والأشعار وأحيرت العرب وأكرهتهم على أن يقابلوا ويلقوا هذا الانتحال بمثله لاعتقادهم بأنه يجب أن يكون لهم قول وسابقة في كل شيء ليثبتوا تفوقهم وفضلهم على الأمم التي غلبوها في حروبهم ونزاعاتهم معا.¹

1-3-5- الرواة:

خاتمة المسك لقضية النحل أو الوضع فيرى أن الرواة بين اثنين، إما أن يكونوا من العرب فهم متأثرون بما كان يتأثر به العرب وإما أن يكونوا من الموالي، فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالي من تلك الأسباب العامة، وهم على تأثرهم بهذه الأسباب العامة متأثرون بأشياء أخرى هي التي أريد أن أعرج عليها في وقفات قصيرة، ومن أمها مجون الرواة وإسرافهم في اللهو والعبث، وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى ما يباهه الدين وتنكره الأخلاق، ثم يستفيض في الكلام عن حصاد الرواية وخلف الأحمر وأبي عمرو بن العلاء الشباني، ويتحدث عما كانوا عليه من مجون وهو وعبث ومروءة فاسدة قادتهم إلى الكذب والنحل والوضع طمعا بالمال وغيره من مطامع الدنيا، يبدو أن إشكالية الرواية والرواة تحتاج منا من دون شك دراسة مستفيضة عن كل ما نقل عن هؤلاء الرواة وعن سير حياتهم للوصول إلى نتائج علمية صحيحة، ولنا فيما توصل إليه (الدكتور عبد اللطيف حمودي) أستاذ الأدب الجاهلي في كلية الآداب، من خلال محاكمة النصوص القديمة التي تدين كلا من حماد الرواية وخلف الأحمر ما يغنينا عن الاستطراد في هذا الموضوع، ويضيف أيضا أنه كان من هؤلاء الرواة يتخذون من انتحال الأخبار والشعر واللغة وسيلة لكسب.

¹ طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص: 113.

ومنهم من كان يؤجر نفسه للقبائل ليجمع لكل واحد منها الشعر ليضيفه إلى شعائرها مقابل أجر معلوم، ونجد بعد ذلك بكثير من القصص والروايات التي تدين حماد الرواية وخلف الأحمر وكذا بهما وتلفيتهما وانتحالها وغيرهما للشعر الذي ينسب للجاهليين.¹

2- دوافع الشك وأهم الأدلة عند طه حسين.

2-1-2- دوافع شك طه حسين عن نظريته:

نظر طه حسين نظرة فاحصة في الشعر الجاهلي فساوره الشك والريب في الكثير منه، وانتهى إلى أن معظمه ليس جاهليا، وإنما هو موضوع منتحل ومنحول بعد ظهور الإسلام ومن هذه الأمور التي أثارت شكوكه وراتبه. وقد لخصها ناصر الدين الأسد:²

2-1-1- الحياة الدينية:

فرأى أن: "هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسيطرة على الحياة العملية وإلا فأين نجد شيئا من هذا في شعر امرؤ القيس أو طرفة أو عنترة أو ليس عجباً أن يعجز الشعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين وأما القرآن فيمثل لنا ثلة دينية قوية تدعوا إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدل"

2-1-2- الحياة السياسية:

ثم يرى أن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم بل كانوا على اتصال قوي، قسمهم أحزابا وفرقهم شيعا أليس القرآن يحدثنا عن الروم وما كان بينهم وبين الفرس من حرب انقسمت فيها العرب إلى حزينين مختلفين: حزب يشايح أولئك وحزب يناصر هؤلاء. أليس في القرآن سورة تسمى "سورة الروم" لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشعر الجاهلي معتزلين فأنت ترى أن القرآن يصف عنايتهم بسياسة الفرس والروم، وهو يصف اتصاهاهم الاقتصادي بغيرهم من

¹ يحيى ولي فتاح حيدر، نظرية الشك بين استشراقية مرجليوث واستغرابية طه حسين، ص: 180 - 181.

² شوقي ضيف، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، مصر، ط 03، 1933، ص: 79.

الأمم في السورة المعروفة: "إيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف" وكانت إحدى هاتين الرحلتين إلى الشام حيث الروم والأخرى على اليمن حيث الحبشة والفرس".

2-1-3- الحياة الاقتصادية:

ثم يقول الدكتور طه حسين: "فأنت تستطيع أن تقرأ امرؤ القيس كله وغير امرئ القيس وأنت تستطيع أن تقرأ هذا الأدب الجاهلي كله دون أن تظفر بشيء ذي عناء يمثل لك حياة العرب الاقتصادية فيما بينهم وبين أنفسهم ثم يشير إلى قضية أخرى تحدث فيقول: "كنا ننتظر أن يمثلها الشعر لأنها خليقة به، وتكاد تكون موقوفة عليه، نريد هذه الناحية النفسية الخالصة هذه الناحية التي تظهر لنا الصلة بين العربي والمال... فالشعر الجاهلي يمثل لنا العرب أجوادا كراما مهينين مسرفين في ازدرائها ولكن في القرآن إلحاحا في ذم البخل وإلحاحا في ذم الطمع فقد كان البخل والطمع إذن من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجاهلية.¹

2-1-4- الحياة الاجتماعية:

ثم ينتهي على الحديث على حياة العرب الاجتماعية في الجاهلية فيقول: "فهذا الشعر لا يفني إلا بحياة الصحراء والبادية، وهو لا يعني بها إلا من نواح لا تمثلها تمثيلا تاما، فإذا عرض لحياة المدر فهو يمسه مسافيقا ولا يتغلغل في أعماقها، ما هكذا نعرف شعر الإسلام، أما القرآن فيمن على العرب بأن الله قد سخر لهم البحر وبأن لهم في هذا البحر منافع كثيرة."²

2-1-5- اختلاف اللغة:

ويرى الدكتور طه حسين أن هذا الشعر بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قبل فيه، ثم يقول: "إن هناك خلافا قويا بين لغة الحمير "وهي العرب العاوية و"لغة عدنان" وهي العرب المستعربة ويستند ذلك إلى أمرين:

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في نقد القديم بين التأصيل والتحديد، ص ص: 178 - 179.

² شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 07، 2018، ص ص: 180 - 181.

2-1-5-1- الأول ما قاله أبو عمر بن العلاء وهو كما أورده الدكتور طه حسين: "ما لسان

حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا"

2-2-5-1- والثاني، أن البحث الحديث أثبت خلافا جوهريا بين اللغة التي كان يصطنعها

الناس في جنوب البلاد العربية واللغة التي كانوا يصطنعونها في شمال هذه البلاد ثم يشير إلى هذه

النقوش الحميرية التي اكتشفت وإلى ما أورده جويدي في كتابه: المختصر في علم اللغة العربية

الجنوبية القديمة.

2-1-6- اختلاف اللهجات:

وبعد أن ينتهي من الشعر الذي يضاف إلى القحطانيين ينتقل إلى الشعر الذي يضاف إلى

العدنانيين فيقول: "فالرواة مجمعون على أن القبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللهجة

قبل أن يظهر الإسلام، فيقارب بين اللغات المختلفة ويزيل كثيرا من تباين اللهجات، وكان من

المعقول أن تختلف لغات العرب العدنانية، وتباين لهجاتهم قبل ظهور الإسلام ولا سيما إذا صحت

النظرية التي أشرنا إليها آنفا وهي نظرية العزلة العربية فإذا صح هذا كله كان من المعقول جدا أن

تكون لكل قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجاتها ومنهجها في الكلام وأن يظهر اختلاف

اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة

ولهجات متقاربة ولكننا لا نرى شيئا من ذلك في الشعر العربي الجاهلي.¹

2-2- أهم الأدلة لطفه حسين عن نظريته:

من أهم الأدلة ما يأتي:

2-2-1-أولا: لا يمثل الشعر الجاهلي حياة الجاهليين الدينية ولا العقلية، ولا يصور لنا ما كان

بينهم وبين غيرهم من الأمم المجاورة لهم من صلات سياسية ولا يصور لنا حياة العرب

الاقتصادية.

¹ حميد قبائلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، ص: 180 - 181.

قد يكون رأي نولدك المستشرق المعروف مناقضا كل المناقضة لرأي الدكتور طه حيث ذهب إلى أن السبع الطوال، أو المعلقات خالية بالتأكيد من التزييف أو التزوير فلا يشك في صحتها. ويؤكد رينان صحة الشعر الجاهلي وثبوت صدقه بلا قيد ولا حصر. فإن المعلقات وديوان الحماسة، وكتاب الأغاني وديوان الهذليين، قد قبلها العلماء، وسلموا بأنها سابقة في معناها ومبناها لبعث محمد صلى الله عليه وسلم -أي أن العلماء أقرروا صحتها شكلا وموضوعا، وأقروا انحدارها إلينا من العهد المتقدم على الإسلام، أما فيما يتعلق بالمعاني فلا يجوز الشك فيها، لأن هذه الأشعار تمثل لنا الحياة الجاهلية كما تمثلها مرآة كاملة، وهذه القصائد تتعلق بشخصيات وحوادث حقيقية ولا يوجد ما يتيح لنا أن نفترض -كما افترض شولتتر.

أن المسلمين قد أبادوا الأدب الجاهلي بسبب عداوتهم للوثنية، فإن افتراضا لهذا يتنافر مع النتيجة الثابتة التي تدل على أن الكتابة لم يشع استعمالها عند العرب إلا قبل محمد صلى الله عليه وسلم بقرن واحد تقريبا، ويجب علينا أن نمنح درجة أعلى من التصديق والصحة للمقطوعات الشعرية الصغيرة المثبتة في كتب التاريخ والشعر الجاهلي. فإن هذا هو في الحق أقدم أنواع الشعر العربي ثم يقول رينان أيضا: "وفي الحق نعتقد أن العرب لم يغيروا في الشعر الجاهلي شيئا عن قصد، وأن الاختلافات التي وجدت هي من النوع الذي لا يمكن اتفاؤه في حالة تداول النصوص بين أفواه الحافظين لها، دون معونة التقييد بالكتابة.¹

قال نيكلسون في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" كان الشعر الجاهلي محفوظا بالتواتر الشفوي، وتساؤل عن سر إمكان ذلك وأجاب عن هذا التساؤل في قوة وتأکید لصحة هذا الشعر.

يقول "تين" في مقدمة كتابه "تاريخ فنون الأدب عند الإنجليز أن الآداب صورة كاملة صحيحة من الأشخاص والزمن الذي يعيشون فيه، ويقول نيكلسون أستاذ آداب اللغة العربية: إن الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية.

¹ أحمد قسطاس، رأي طه حسين في الشعر الجاهلي، مجلة دعوة الحق، العدد 167، 1957، ص: 04.

إن الشعر الجاهلي وثيقة خطيرة تصور حياة الجاهليين وألوان معيشتهم، وتصف البيئة الجاهلية بما فيها من حيوان ونبات وأرض وجبال وأشجار ووديان وقرى وصفا دقيقا، وتعبر تعبيرا واضحا عن الأمطار والرياح والجو، وهي سجل لتاريخ الجاهليين وأيامهم وأخبارهم، يقول محمد لطفي جمعة في كتابه الشهاب الراصد "يدل الشعر الجاهلي على نفوس ناظميه وحياتهم، بل أنه أصدق مثال لحياة العرب أنفسهم" الشعر الديني الذي يمثل الحياة الدينية عند الجاهليين كثير ومبثوث في مختلف المصادر القديمة، ويرى جورجى زيدان أن منظومات العرب الجاهليين في الناحية الدينية قد ضاعت في أثناء الأجيال لعدم تحوّلها لاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر، فلما جاء الإسلام أغضى الرواة عنها لأنها وثنية والإسلام يمحو ما قبله، وفي الشعر الجاهلي دلالات واضحة كثيرة على اتصال العرب بغيرهم من الأمم وعلى ألوان الحياة الاقتصادية التي كانت تظلمهم، ولكن هذا الشعر مفرق في مختلف المصادر، وليس مجموعا في كتاب واحد.

2-2-2-ثانيا: ما ذكره الدكتور طه حسين على انتحال الشعر الجاهلي بأنه لا يمثل اللغة العربية فالدكتور يرفض الشعر المنسوب إلى الشعراء من اليمن لأن لليمن لغة تخالف لغة قريش ويشك في هجرة اليمنيين إلى الشمال، وليس من المعقول عنده أن يكون كل الشعراء قد هاجروا إلى اليمن لقوله: "انه ليس لليمن في الجاهلية شعراء وكل ما يضاف إلى "جرهم" وسواهم منحول أن المأثور من شعر الشعراء القحطانيين مروى باللغة العدنانية الفصحى، مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها ولم يتخذوها لغة أدبية لهم قبل الإسلام مما يدل في رأي الدكتور على انتحال هذا الشعر القحطانيين.¹

2-2-3-ثالثا: يؤكد الدكتور طه حسين نظريته في انتحال الشعر الجاهلي بأن اختلاف اللهجات العدنانية أمر ثابت لا شك فيه ونحن لا نجد أثرا لهذا الاختلاف في الشعر الجاهلي المأثور مما يدل على انتحال هذا الشعر وأنه قد حمل حملا على هذه القبائل بعد الإسلام ويرى أن شعر الشعراء الذين ينتسبون على ربيعة نحول لأنه لا يمثل لهجاتهم التي كانوا يتكلمون عنها.

¹ أحمد قسطاس، رأي طه حسين في الشعر الجاهلي، ص: 03.

ونحن نرد على ذلك أن اختلاف اللهجات لا يؤثر على وزن الشعر وقافيته لأن اللهجة هي طريق أداء الكلام إلى السامع ويتمثل ذلك في التفتيح والترقيق والأصالة وعدمها الجهر والهمس مما لا يؤثر في ذات الحرف ولا يستلزم العدول عنه أو عن الكلمة إلى غيرها فالجملة الواحدة نستطيع النطق بها مختلفة الهيئة مع بقاء حرفها وكلماتها في كل صورة من صور النطق، كما في تلاوات القرآن الكريم بالقراءات المتعددة.¹

على أن المتباين المتناكر من اللهجات قد أزالته عوامل التهذيب اللغوي العديدة في جزيرة العرب، وسيادة لغة قريش ولهجاتها قبل الإسلام وكان لمكانة قريش ولتنقلها بين القبائل والأمم ولشهودها مواسم الحج وأسواق العرب وكثيرا من حروبهم، كان لكل ذلك أثره في صنعاء لهجة قريش وعدوبة لغتها وتخيرها من لهجات ولغات غيرها مما جعل لهجتها وكانت صلوات المصاهرة والمحاورة والاختلاط بين القبائل تعطي على كل خلاف لغوي وتقضي على كل فرقة لغوية بينها. إن اختلاف لهجات القبائل العربية أمر مسلم به ولكن هذا الاختلاف لا أثر له إطلاقا على الشعر ولا يخرج القبائل عن وصفها بأنها ذات لسان واحد، ولغة واحدة.

وبعد فإن نظرية الدكتور طه حسين في انتحال الشعر الجاهلي تعد من أخصب النظريات الأدبية الجديدة ومن أشدها تكاملا ومن أقواها إثارة وأكثرها حوارا وجدلا، وقد أحدثت أثرها في تطور الدراسات الأدبية والنقدية وفي التمهيد للمناهج الجديدة في دراسة الأدب ونقده، وفي قيام الحركة حوار رائعة خصبة لم تشهد الحركة الأدبية الحديثة والمعاصرة مثيلا لها من قبل ولا من بعد. ومهما قيل في نقد هذه النظرية وفي التعليق عليها فإنها بلا ريب تعد حدثا أدبيا فريدا في عصرنا وتعد ظاهرة أدبية جديدة جدية بالتسجيل والتفهم وتعد علامة على طريق البحث الأدبي والتجديد فيه.²

¹ المرجع نفسه، ص: 04.

² أحمد قسطاس، رأي طه حسين في الشعر الجاهلي، ص: 05 - 06.

وقد كان الدكتور طه حسين رائعا في أسلوبه وتفكيره وجمعه بين الآراء المتباينة ليؤلف منها وحدة متكاملة وكان في إثارته وفي جدله وحواره وفي نقده وتعليقه شيئا فريدا غريبا، وكان له من ملكاته ومواهبه وثقافته ومن ذكائه ومن ذوقه الأدبي الرفيع ما جعله يصعد القمة ويجلس على أعلى مكان في صرح الأدب حتى لقب بعميد الأدب العربي وكان هو في النشر الأدبي والدراسة الأدبية وعليه فإن طه حسين ونظريته في انتحال الشعر الجاهلي سيظلان موضع الإثارة والاهتمام على مرور الأيام وتوالي العصور.

2-3- المقارنة بين ابن سلام وطه حسين.

صحيح أن ابن سلام الجمحي تطرق إلى قضية الانتحال وتحدث عنها وخاض في غمارها إلا أنه لم يتناولها ولها كما تناولها طه حسين ولم يستخدم المنهج الشكي الذي استخدمه طه حسين في الشعر الجاهلي، أما السبب الثاني أن قضية الانتحال تطرق إليها المستشرقين أمثال نولدكه ومرجليوث وخاضوا في غمارها كما خاض في غمارها طه حسين من خلال كتابه في تاريخ الشعر الجاهلي مما ضاع صيته.

إضافة إلى ذلك أن طه حسين أسس كتاب كامل تحدث فيه عن الشعر الجاهلي وقضية الانتحال هذه وخاض فيها في حين أن ابن سلام الجمحي تحدث عنها ولم يخض فيها.

إن طه حسين رأوا فيه طعنا للدين والعقيدة حيث أنكر بوجود شخصيتي عيسى وموسى عليهما السلام التي كانت من التوراة وقال بأنهما مجرد شخصيتين أسطورييتين فقط، لأن ابن سلام الجمحي أول من أثار مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي في كتابه طبقات فحول الشعراء وقد تطرق على هذه القضية شعراء مستشرقين إذ نشر دواوين الشعراء الست الجاهلين أمثال امرؤ القيس وغيرهم وشككوا في الشعر الجاهلي ليس كله وإنما في البعض.

ابن سلام الجمحي تطرق إلى مشكلة الانتحال في كتاب فحول الشعراء حيث تناول هذه القضية من الجانب النقلي المتمثل فيما نقلوه سابقه عمرو بن العلاء وغيرهم، كان موقفه من هذه القضية فيه شيء من التخصيص الذي يتمثل اكتفائه في الوقوف على الجانب الشعري المنحول،

وكذلك من سماته جمع ما عرفه النقاد من مصطلحات نقدية وأيضا جمع التراث وحاول بناء منهج لنقد الشعر والشعراء وقد اعتمد على الموضوعية في نقد الشعراء ومنهجه نقدي تاريخي.

ذلك لأن طه حسين في كتابته كان تحت تأثير الغرب فلقد تأثر بمنهج الشك الديكارتي وهو بذلك أعان الغرب على جلدنا كما أنه لم يكن تحت تأثير أي ضغط عكس طه حسين.

يعتبر ابن سلام الجمحي من أبرز الذين تطرقوا إلى قضية الانتحال في كتابه طبقات فحول الشعراء ووصل إلى أن العرب عندما راجعت رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها وجدت أن بعض القبائل زادت على ألسنة شعرائها ما لم يقوله ولم يكن متأثرا بأي أحد عكس طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي عندما شكك في الشعر الجاهلي ووصل به الأمر إلى التشكيك في الدين كان متأثرا ببعض المستشرقين أي الغرب وعلى رأسهم مرجليوث.

اشتهر ابن سلام انه من أوائل الذين أثاروا مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي حيث وصل إلى نتيجة في بحثه أنه يكاد يشك في أن ما بقي في الأدب يمثل ولا يدل على شيء ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصور البيانية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي.

في حين أن طه حسين فهو أخذ يبسط الأسباب التي تدفع الباحث إلى الشك في الأدب الجاهلي واهتمامه وردها إلى أنه لا يصور حياة الجاهليين الدينية والسياسية والعقلية والاقتصادية.

كما أنه لا يصور لغتهم وما كان فيها ومن اختلاف اللهجات أما من حيث حياتهم فهو يصورها أنها من منبع القرآن الكريم فقد وجد أن القرآن يمثلها تمثيلا قويا يقول طه حسين مبررا قوله: "أرأيت أن التماس الحياة العربية الجاهلية في القرآن أنفع وأجدى من التماسها في هذا الشعر العقيم الذي يسمونه الشعر الجاهلي! أرأيت أن هذا النحو من البحث يغير كل التغيير ما تعودنا أن نعرف من أمر الجاهليين".¹

¹ يوسف طارق السامرائي، طه حسين ... وقضية الدخل تناقض ومرويات، مجلة كلية الإمام الأعظم "رحمه الله"، العدد 18، 2014، ص: 08.

حيث أثار طه حسين ضجة كبيرة بعد صدور كتابه "في الشعر الجاهلي" ونستخلص من أن العميد طه حسين شكك في الشعر الجاهلي بكثرة مطلقة وهذا مهد الغرب الطريق للتعمق في شكوكهم، فمرجليوث أكبر من أثاروا هذه القضية في كتاباته جعل عنوانه "أصول الشعر العربي" في إطار هذا نبر "ونراه يستهل بموقف القرآن الكريم من الشعر متحدثا عن بدء ظهوره ونشأته وآراء القدماء في ذلك، ثم ينتقل عن الحديث عن حفظه، وينفي أن تكون الرواية الشفوية قد حفظته... ويقف بإزاء المتهمين أمثال حماد وحناد وخلف الأحمر وما كان يطعن به بعض الرواة في بعض".¹

لقد وضع ابن سلام الجمحي مجموعة من العوامل أدت إلى ظهور الشعر الجاهلي عنده فنجد العامل السياسي بالدرجة الأولى الذي كان الشعراء في العصر الجاهلي يتكثرون على الأيام في مفاخرتهم فكانوا يستعملون فن الهجاء ويعتبرونه من الفنون العريقة وسلاحا فتاكا يتهدد به الشاعر الخصوم، ونأتي إلى العامل الديني فقد حدثنا ابن سلام أن القصص حاولوا تفسير ما وجدوه مكتوبا في القرآن الكريم من أخبار الأمم السائدة كعاد وثمود، ويحاول ابن سلام أن يثبت أن هذا الشعر منحول على الشعراء الجاهليين بالإتيان بآيات بينة تحدثنا أن الله تعالى قد أهلك عادا وثمودا. وذهب أيضا ابن سلام إلى أن وضع الشعر عنده بسبب زيادة القبائل في شعرهم وقولهم الشعر على ألسنة الشعراء لذلك قال ابن سلام: "لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكل قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فردوا على الأشعار التي قيلت".

ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة ترويان منتحلا كثيرا وتنسبه على الجاهليين طائفة.

- طائفة لم تكن تحسن نظم الشعر مثل ابن إسحاق؛
- طائفة كانت تحسن نظم الشعر مثل حماد وخلف الأحمر.

¹ المرجع نفسه، ص: 06.

في حين أن طه حسين يطعن في الشعر فلا يكتفي بالطعن في الشعر بل يطعن في الأشخاص، والأحداث والمواطن حتى أنه يحيل التاريخ الجاهلي إلى أكاذيب من صنع الرواة فهو تارة يثبت وجود الشعر الجاهلي، ويشكك في كثرة، وأخرى ينفي وجوده تماماً حينما يقول: "ولا أضعف عن أن أعلن إليك وإلى غيرك من القراء أن ما تقرؤوه على أنه شعر امرؤ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنبرة ليس من هؤلاء الناس في شيء، وغنما هو انتحال الرواة أو اختلاف الأعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين".

ثم يناقض نفسه فيقول: "لا ينبغي يستشهد الشعر بهذا الشعر على تفسير القرآن وتأويل الحديث، وإنما ينبغي أن يستشهد بالقرآن والحديث على تفسير هذا الشعر واعتماده" عندما نتحدث عن قضية الانتحال نجد ابن سلام الجمحي وطه حسين فالأول تحدث عنها ولم يدرسها بعمق عكس طه حسين الذي تناولها ودرسها بعمق وهذا راجع إلى أن ابن سلام تناول قضية الانتحال في كتابه فحول الشعراء، فهو تحدث عنها كموضوع أو بحث وهذا راجع إلى وجود بعض الشعراء ينتحلون شعر سابقهم فتحدث عن الانتحال سطحياً فقد كان من أبرز النقاد الذين أثار ضجة كبيرة.

أما بالنسبة لطله حسين تحدث عن الانتحال وجعل منه موضوع لكتابه الذي عرض فيه آرائه وانتقاداته وها راجع على أن طه حسين كان متأثر بالفكر الغربي وفلسفاته ومناهجه، فهو كان يتبع منهج الشك وهو منهج ديكرارت الذي يقوم على فكرة "أنا أفكر أنا موجود" لذا شك في الشعر واعتبره منتحل كما شك الأنبياء السابقين، واعتبار العديد من القيم الدينية أنها أساطير وهذه الأفكار غريبة لذا درست قضية الانتحال من مرجليوث ونولدكه ونستنتج من هذا وجود فرق كبير بين ابن سلام الذي نشأ في فكر عربي وطه حسين الذي نشأ فكر غربي.¹

¹ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 08.

خاتمة

قضية الانتحال من القضايا التي كانت محل اهتمام المتقدمين والمتأخرين، وشغلت بال الدارسين لا سيما داخل دائرة النقد، ولعل جل ما حاولنا الوصول إليه هو الكشف عن الآراء التي تضاربت حول هذه القضية بين أخذ ورد، أمثال ابن سلام الجمحي وطه حسين فقد استنتجنا من خلال رأيهم مجموعة من النتائج المتمثلة في:

- 1- كانت الرواية الشفوية أهم وسيلة في نشر الشعر الجاهلي بين القبائل وبها انتشر وذاع؛
- 2- للشعر الجاهلي منزلة عظيمة عند العرب فهو يساعد المؤرخين أن يألفوا الحياة العربية الجاهلية وأن يلتمسوا العادات والتقاليد التي سادت الحياة الجاهلية، بالإضافة إلى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشها الجاهليون؛
- 3- الشاعر الجاهلي كانت له مكانة كبيرة ومتميزة في نظر العرب فأنزلوه منزلة الأنبياء في الأمم لأنه لم يكن في أيديهم كتاب يرجعون إليه ولا حكم يأخذون به؛
- 4- كان الشاعر الجاهلي ديوان عملهم ومنتهم حكيمهم؛
- 5- شعر ديوان العرب لغته اللغة العربية التي كانت يصطنعها الناس في عصره، ألا وهو العصر الجاهلي، فلهذا اتخذ علماء الفقه والنحو الشعر الجاهلي مادة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث النبوي ونحوهما ومذاهبها في الكلام؛
- 6- كان طه حسين يردد ما نص عليه العلماء السابقون من قضايا، ويريد أن يتسع لها لنقض الشعر الجاهلي جميعه، وهي إنما تنقض جوانب منه، وينبغي أن نقف عندها ولا نذهب مذهب التعميم؛
- 7- إن طه حسين كانت بداية اعتقاداته أن الحياة الجاهلية لا بد وأن تلتمس من القرآن الكريم وليس من الشعر الجاهلي، فالقرآن الكريم هو أصدق مرآة للحياة وليس الشعر الجاهلي، وعنده أن هذه الحياة التي نلتمسها من القرآن سوف نجدتها في شعر الجاهليين، وفوق هذا سنجدتها حياة مليئة بالتدين؛

8- للشعر الجاهلي منزلة عظيمة عند العرب لأسباب عديدة، فهو يساعد المؤرخين ان يألفوا الحياة العربية الجاهلية وان يلتمسوا العادات والتقاليد التي سادت الحياة الجاهلية بالإضافة الى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشها الجاهليون، فإن الشعر "ديوان العرب". القرآن كتاب عربي لغته اللغة العربية التي كان يصطنعها الناس في عصره، ألا وهو العصر الجاهلي .

9- في الختام نستنتج أن هناك فرق شاسع بين ابن سلام الذي نشأ في فكر عربي وطه حسين الذي نشأ في فكر غربي.

إن أصبنا فمن الله

وإن أخطأنا فمن أنفسنا

ومن الشيطان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً: الكتب.

- 1- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكر، دار الكتب.
- 2- أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضة بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، اليمن، ط 01، 1994.
- 3- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي.
- 4- الجاحظ، الحيوان، ت: عبد السلام هارون.
- 5- الجاحظ، الحيوان، ج 03.
- 6- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1978.
- 7- ديوان عنتر، مطبعة الآداب لأمين حوري، بيروت، ط 04، 1893 م.
- 8- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 07، 2018.
- 9- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط 08، د ت.
- 10- شوقي ضيف، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، مصر، ط 03، 1933.
- 11- صلاح رزق، الشعر الجاهلي السياق والملاحم وأهم القضايا أبرز الإعلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.
- 12- طه حسين، في الشعر الجاهلي، د ط، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
- 13- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الدار الشامية للطباعة والنشر، بيروت، ط 01، 1416هـ - 1996 م، ج 01.
- 14- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية.

- 15- علي ابن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه، ت: محمد أبو الفضل وعلي الجاوي، القاهرة، مصر، ط 04، 1996.
- 16- كريم الوائلي، الشعر الجاهلي قضايا وظواهره الفنية، دار العالمية.
- 17- كوثر محمد القاضي، الأدب في العصر الجاهلي.
- 18- محمد صابر حمدان وآخرون، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط 01، 1910.
- 19- محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، دار الأوزاعي، بيروت، 1986.
- 20- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1421 هـ 2000 م، ج 01.
- 21- مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة (Anglo) الأنجلو مصرية.
- 22- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط 1، 1956.
- ثانيا: المعاجم والقواميس.
- 23- أبي الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا ، معجم مقاييس اللغة، ت: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 211م.
- 24- أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، المجلد 13، باب النون، مادة نحل، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 25- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، د ط، 2007.

ثالثا: المجلات والجرائد.

- 26- أحمد قسطاس، رأي طه حسين في الشعر الجاهلي، مجلة دعوة الحق، العدد 167، 1957.
- 27- جريدة "الشرق الأوسط"، الجمعة 09 أفريل 2004، العدد 9264.
- 28- حميد قبايلي، قضية الانتحال في النقد القديم بين التأصيل والتجديد، مجلة الإشكالات، المجلد 07، العدد 02، جامعة عباس لغرور خنشلة، قسم اللغة والأدب العربي، 2018.
- 29- يحيى ولي فتاح حيدر، نظرية الشك بين استشراقية مرجليوث واستغرابية طه حسين، العدد 106، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 1435هـ 2014 م.
- 30- يوسف طارق السامرائي، طه حسين... وقضية الدخول تناقض ومرويات، مجلة كلية الإمام الأعظم "رحمه الله"، العدد 18، 2014.

رابعا: الأطروحات والرسائل الجامعية.

- 31- أمزيان سهام، تطور المصطلح النقدي: دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام، (كتاب الموازنة أمودجا)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران، كلية الأدب واللغات والفنون، 2014-2015.
- 32- شايب فرح فنجول عبيد، القاضي الجرجاني ناقدا من خلال كتابه (الوساطة بين المتنبى وخصومه)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، السودان، سنة 1427هـ -2006 م.
- 33- مراد معروف، الرؤية النقدية عند طه حسين كتاب في الشعر الجاهلي، مذكرة مكتملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، تخصص نقد حديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية الآداب واللغات، 2017.

قائمة المصادر والمراجع

خامسا: المحاضرات الجامعية.

34- العزوني فتيحة، برنامج السداسي الثاني نقد أدب قديم.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات.

الصفحة	العنوان
	البسمة
	كلمة شكر وعرافان
	الإهداء
أ	مقدمة.....
11-01	مدخل: ظاهرة الانتحال في الأدب.....
02	1- ظاهرة الانتحال عند الأمم القديمة.....
03	2- ظاهرة الانتحال في العصر الجاهلي.....
05	3- قضية السرقات.....
10	4- السرقات في عصر صدر الإسلام.....
43-13	الفصل الأول: ظاهرة الانتحال عند ابن سلام.....
13	1- ماهية الانتحال.....
13	1-1 مفهوم الانتحال.....
19	1-2 أسباب انتحال الشعر.....
21	1-3 أسباب اهتمام بالشعر وجمعه.....
23	1-4 الشعر ديوان العرب.....
25	2- الانتحال عند ابن سلام.....

25	1-2- قضية الانتحال عند ابن سلام.....
33	2-2- مزايا الشعر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.....
35	2-3- اختلاف الرواية أساس السرقة عند ابن سلام.....
39	2-4- الانتحال عند المستشرقين.....
42	2-5- الانتحال عند العرب المحدثين.....
68 – 45	الفصل الثاني: ظاهرة الانتحال عند طه حسين.....
45	1- الانتحال عند طه حسين.....
45	1-1- نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي عند طه حسين.....
48	1-2- أصول منهج طه حسين في قضية الانتحال.....
57	1-3- أسباب نحل الشعر.....
57	2- دوافع الشك وأهم الأدلة عند طه حسين.....
57	2-1- دوافع شك طه حسين عن نظريته.....
60	2-2- أهم الأدلة لطله حسين عن نظريته.....
63	2-3- المقارنة بين ابن سلام وطه حسين.....

69	خاتمة.....
72	قائمة المصادر والمراجع.....

ملخص:

يعتبر الانتحال ظاهرة أدبية عامة لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم ولا على جيل معين من الأجيال، هذا وقد عرفتها الأمم القديمة التي كان لها نتاج أدبي وعرفها العصر الجاهلي كما عرفها العصر الأموي والعباسي، فالانتحال قضية من القضايا الكبرى في الشعر الجاهلي، ويقصد بالانتحال أن ينسب شاعر أو راوٍ ما شعرا مزيفا إلى شاعر آخر جاهلي ليس هذا الشعر له في شيء، وقد كان الشعر الجاهلي يتداول شفاهيا قبل التوسع في استخدام الكتابة والتدوين مما يعني إمكانية حدوث التعريف عن طريق النسيان أو غيره ما دام التوثيق غير مكتوب في أصله، وقد لفتت هذه القضية قضية انتحال الشعر الجاهلي أنظار الباحثين المحدثين من العرب والمستشرقين أيضا.

حيث تسعى في هذه المذكرة لدراسة قضية الانتحال عند ابن سلام الذي كان أول من أثار في إسهاب هاته المشكلة كما تدرس أيضا نفس القضية بالنسبة إلى طه حسين وكذا المقارنة بينهما.

الكلمات المفتاحية: قضية الشعر، الانتحال، طه حسين، ابن سلام.

Abstract:

Impersonation is a general literary phenomenon that is not confined to a nation alone or to a particular generation. It is defined by ancient nations, which have had a literary product and were defined by the ignorant age, as well as by the Umayyad and Abbasid ages. Impersonation is one of the major issues of ignorant poetry, and impersonation is meant to attribute a poet or raو to another clueless poet for whom there is nothing, and ignorant poetry circulates lively before the use of writing and blogging is expanded, which means that the definition can occur by forgetting or otherwise as long as the documentation is not written in its origin. This case has drawn the attention of modern Arab researchers and revellers.

In this note, she seeks to study the issue of impersonation at Ibn Salam, who was the first to raise this problem at length, and also examines the same issue for Taha Hussain and their comparison.

Key words: The cause of poetry, impersonation, Taha Hussain, Ibn Salam.